صلاح دسوقي

# عمار المشترك

# الاستعمار المشترك

بقلم
صلاح دسوقي

الطبعة الأولى

١٩٥٧

الناشر

مجلة البوليس

ص . ب ٢٠٨٨ القاهرة

مطابع دار الكتاب العربى بمصر
محمد حلمى المنياوى



جمال عبد الناصر باعث القومية العربية

انا لا نستطيع ان نقبل الاشراف الدولى على قناة السويس لانه يعنى الاستعمار المشترك .

انا نشعر ان جزءا من سيادتنا سينزع منا عن طريق فكرة الاشراف الدولى ... انى متأكد من حق بلادى ومطمئن الى شعور الشعب المصرى ومؤمن بالله ... »

الرئيس جمال عبد الناصر

# مقدمة

في ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦ أعلنت مصر بلسان الرئيس جمال عبد الناصر تأميم الشركة العالمية لقناة السويس .. ووضعت مصر يدها على ممتلكات الشركة وأعلنت انها ستعوض حملة الأسهم تعويضا عادلا . وباشرت الادارة المصرية لمرفق القناة عملها في ارشاد السفن وظلت الملاحة تسير سيرها الطبيعي ... وظلت القناة مفتوحة أمام السفن التابعة لمختلف الدول .. وكان في هذه الخطوة المشروعة التي اتخذتها مصر الفرصة المواتية للاستعمار ... فتجمعت القوى وحشدت الأساطيل وتحركت أفواه ساسة الغرب بالتهديد والوعيد ...

وقبل ذلك بقليل ... حدثت أحداث هامة توضح الى مدى بعيد المسرح العالمي في ذلك الوقت ... أول هذه الأحداث يقظة القومية العربية ... والتقارب الشديد بين دول العرب ووقوف الشعب العربي رجلا واحدا أمام الاستعمار ...

وتزعم جمال عبد الناصر لفكرة الحياد بين الشرق والغرب واجتماعات باندونج وبريوني التي صاغت قراراتها من رغبات الشعوب ... وفي نفس الوقت الذي اجتمع فيه عبد الناصر ونهرو في ضيافة تيتو ببريوني أعلنت دول الغرب رفضها لتمويل مشروع السد العالي في بيان تعمدت أن تشكك فيه في الاقتصاد المصري ...

وكان هذا العمل من جانب دول الغرب أول بادرة مكشوفة في الحرب التي أعلنت ضد مصر وضد القومية العربية وضد الحياد الذي تنادي به مصر والذي وجد صداه في كثير من الشعوب الحرة .

وأممت مصر قناة السويس استعملت في ذلك حقها المشروع ... وكانت الثورة الجوفاء التي أشعلها الغرب ...

وقف ساسة بريطانيا وفرنسا وقلوبهم مفعمة بالحقد يلقون بالتهم والتهديدات ...

ودعى لعقد مؤتمر لندن .... وقبيل هذا المؤتمر خرجت الى الوجود فكرة ( التدويل ) وكان رد مصر على هذه الفكرة هو قول الرئيس جمال عبد الناصر صراحة ... ان تدويل القناة معناه الاستعمار الجماعي أو الاستعمار المشترك ... ولا يمكن لمصر التي

كافحت كى تتخلص من استعمار دولة واحدة أن تقع راضية فى استعمار دول عدة ...

أعلنت مصر أنها تكفل حرية الملاحة فى القناة فى وجه السفن من جميع الدول ... وأعلنت تمسكها بمعاهدة ١٨٨٨ بل واستعدادها لبحثها من جديد مع الدول المستعملة للقناة .. ولكن الاستعمار أصر على موقفه ... ووجد فى هذه الخطوة الفرصة السانحة كى يقضى فيها على اليقظة المصرية والقومية العربية ... وانطلقت السنة الدعاة بحملة منتظمة من الأباطيل وحاولت أن تصل الى رجل الشارع فى أوروبا زاعمة أن مافعلته مصر سينشر الجوع ويزيد البطالة ويقضى على الاقتصاد فى هذه الدول ...

وجاءت الى مصر لجنة خماسية اسندت رئاستها الى استعمارى عريق فى الاستعمار وفشلت اللجنة لأنها حاولت أن تترجم رغبات الاستعمار فى مشروعات مغلفة ...

وانتقلت المعركة الى الأمم المتحدة وقالت مصر كلمتها التى رددتها أكثر من مرة ...

أنها استعملت حقا من حقوقها ...

وانها لا تحمل لدول العالم الا الخير والسلام ... وانها تسالم من يسالمها وتعادى من يعاديها ... ولم يسكت الاستعمار ... وكان خلال ذلك يقوم بمظاهرات عسكرية ... وصارت قبرص ملتقى الجنود والأساطيل ...

وفى الأمم المتحدة اتفق على مشروع من ست نقط وتحدد يوم ٢٩ اكتوبر لاجتماع الأطراف المعنية بالامر فى جنيف ...

واستعدت مصر المسالمة لهذا اليوم ...

ولكن فى اليوم نفسه كانت الخطوة الأخيرة من المؤامرة الاستعمارية.

هاجمت اسرائيل الحدود المصرية ...

وأعلنت بريطانيا أنها لن تستغل الظروف .. وتمت المؤامرة وهاجمت قوات بريطانيا وفرنسا قناة السويس .. وصمد شعب مصر ... وتدخلت الدول المحبة للسلام ... وقالت الأمم المتحدة كلمتها ... وفشلت المؤامرة .. ورد المعتدون على أعقابهم بعد أن خسروا الشىء الكثير ..

ولكن ... هل رضخ الاستعمار لحكم التاريخ .. وهل فهم تطور الشعوب ؟ ؟

كلا ... انه لم يفعل ... انه يحاول ان يعود الى منطقة الشرق الأوسط فى صورة مبادىء ومشروعات ... انه يحاول القضاء على الجنس العربى ... والقومية العربية ...

ولكنه كلما أقدم على محاولة كلما تنبه اليها الشعب العربى ...

ولنا الآن ان نسأل ...

هل تأميم شركة قناة السويس هو سبب كل هذه الأحداث .. ؟

الجواب على ذلك ... نعم ... ولا ... انه السبب المباشر .. ولكنه ليس السبب الحقيقى .

لو لم تؤمم مصر شركة قناة السويس لحدث العدوان ... وحدثت المؤامرات ... ولم يكن الاستعمار ليعدم سببا مبررا ... ان تأميم قناة السويس كان السبب المباشر أما السبب الحقيقى فهو القومية العربية ... ومادامت القومية العربية يقظة ... واعية ... فلن يهدأ الاستعمار بل سيحاول ويحاول ولن ييأس ..

**وبعد ...**

هذه الفصول كتبتها فى حينها ... كانت متمشية معالأحداث .. وقد رأيت أن أجمعها فى كتاب ... ولم أحاول ان أغير منهاشيئا .. انها جزء من الأحداث التى وقعت ... والأحداث هى التاريخ ... اقدمها للشباب العربى ... فعليه العبء الاكبر فى المحافظة على القومية العربية وفى اليقظة لأطماع الاستعمار ...

الشباب العربى فى الوطن الكبير ...

والأحرار فى كل مكان ...

**صلاح دسوقى**

# الجزء الأول

# بعد التأميم و قبل العدوان..

# الفصل الأول

## الاستعمار يصفى ممتلكاته ! !

ظلت بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وألمانيا وهولندا وغيرها من الدول الأوربية ترتع منذ أجيال بعيدة فى بحبوحة اقتصادية ظاهرة الارتفاع على حساب مئات الملايين من أبناء المستعمرات تمتص من دمائهم وعرقهم فيضا من الانتاج ووفرا من الكسب لم تكن تدفع له مقابلا . . ولكن دعائم هذه النظم والعلاقات الاستعمارية والاستغلال الدولى قد أخذت تتداعى ، ولم يعد فى الامكان الابقاء عليها أو استعادتها . .

وفى مؤتمر حزب العمال سنة ١٩٤٨ أوضح مستر بيفن خطته فى حل مشكلة بريطانيا الاقتصادية فقال : « اذا نحن ربطنا الكومنولث وبلاد ما وراء البحار التى أخذنا مسئولياتها على عاتقنا المشترك ، بمهارة الغرب واستعداده وقدرته الانتاجية ، فاننا نستطيع حينئذ أن نحل مشكلة ميزان مدفوعاتنا — ويستطيعون هم من ناحية أخرى أن يظفروا بمستوى من المعيشة يزداد ارتفاعه مع الأجيال القادمة » .

هذه هى سياسة بريطانيا الخارجية ، وكل هذه الأحلام والمشاريع الهائلة للامبراطورية العجوز سواء بنيت على مناورات جديدة أو تحالفت مع العناصر الرجعية الفاسدة أو على برامج ضخمة ترسم لزيادة استغلال أفريقيا كعمل مرموق ، فانها ليست

الا قصوراً تشيد فى الهـواء ، فان أحـدث مشاريع الاستعمار الجديدة بنيت على الرمال وكان محتوما أن يقضى عليها بفضل التناقضات الكامنة وبفضل ضعف قوة الاستعمار المتداعية وبفضل زحف القوى الشعبية السائدة فى جميع بلاد المستعمرات .

أن أزمة الامبراطورية العجوز لا يمكن تجاهلها أو تخطيها ، وأن على شعوب بريطانيا وأوربا الغربية أن تواجه الحقائق وأن تبنى حياتها من جديد وأن تحدث تعديلا أساسيا فى نظم بلادها ..

لقد أخذ التاريخ يسطر صفحات أخر اذ دبت على الأرض حياة جديدة تمتد من مراكش غربا الى أندونيسيا شرقا أى أكثر من ثلث الانسانية . هذه الشعوب قامت تهدد النظام الاستعمارى العتيق فى بريطانيا وأوربا الغربية تهديدا خطيرا ، وتستطيع أن تلعب دورها الكبير فى بناء العالم الجديد بعد أن حررت نفسها من قيود الاستعمار .

ان كل يوم يمر يؤكد ضرورة الاختيار بين طريق الأمل والتعمير وطريق اليأس ..

ان بريطانيا ودول أوربا الغربيـة القديمة التى حملت لواء التقدم فترة طويلة من التاريخ لفى خطـر من أن تتردى فى هاوية سحيقة من الأزمة المستعصية والتحلل والضعف والافلاس مالم تجر تغييرات حاسمة فى كيانها الاجتماعى فى أسرع وقت ممكن ..

ولقد شعر الناطقون الرسميون فى بريطانيا بمدى الكره الذى تكنه الشعوب للاستعمار فساروا مع التيار يحاولون تضليله فأعلنوا هم

أيضا أن الاستعمار والامبراطورية قد ذهبت بذكرياتها الأليمة مع الأيام ، وأن الامبراطورية قد صفيت . وأنها قد تحولت الى جامعة مستنيرة والى هيئة ذاتية التقدم .

هذا التحول فى اللغة والوصف والتعبير مقصود به التضليل ، فهــو خلط بين انهيــار الامبراطورية ونهايتها ، وهم لا ينبذون الاستعمار على هواهم وانمــا هم يتفننون فى تزييف الألفــاظ وتشويش المعانى مجاراة للشعور المعادى للاستعمار ، وهذا دليل على قوة هذا الشعور وتقدير خطورته . .

فالامبراطورية لم تعد أمرا مقبولا ، والاستغلال الاستعمارى لا تمسحه الألفاظ الناعمة ولا تباركه الأساليب المعسولة . .

فان الامبراطورية البريطانية فى مرحلة الانهيار ولكنها لم تنته بعد ، وهى تبذل بذل اليائس وتستميت فى التعلــق بالاشــكال والوسائل الحديثة لمواجهة الظروف الجديدة لا لتنتحر أو تصفى نفسها ولكنها تحاول التقدم فى بقاع أخرى لكى تبقى وتستمر فى تحقيق مقاصدها الاستعمارية وتسخير الشعوب واستغلالها من أجل جنى الأرباح الطائلة . .

وقد وجــه أساطين الاستعمار الحــديث أمثال دزرائيلى ، وتشمبرلن ، وردس جهودهم الواعية لمقابلة التحدى الصاعد من الشعوب المكافحة للعمل على استغلالها . .

وقد ذكر رودس فى عام ١٨٩٥ : « كنت فى الأمس فى الايست اند بلندن وحضرت اجتماعا للعاطلين ولقد سمعت الخطب النارية فلم تكن الا صيحات من أجل الخبز ، الخبز ، الخبز . . وتأملت

المشهد فى طريق عودتى فأصبحت أكثر اقتناعا من ذى قبل بأهمية الاستعمار — لقد أوحى الى المشهد أن حل هذه المشكلة الاجتماعية وانقاذ أربعين مليونا من سكان المملكة المتحدة من حرب أهلية دموية يتطلب منا نحن رجال الدولة الاستعمارية أن نعمل على تملك أراض جديدة لتسوية مشكلة ازدياد السكان والحصول على أسواق جديدة لتصريف بضائعهم من منتجات المصانع والمناجم . ان الامبراطورية كما سبق أن قلت دائما هى مسألة الخبز والزبد . فاذا أردتم تجنب الحرب الأهلية فعليكم أن تصبحوا استعماريين »

كما حدد المستر تشمبرلن أحد أئمة الاستعمار البريطانى سياسته عندما عين وزيرا للمستعمرات بقوله : « انى أعتبر كثيرا من مستعمراتنا مناطق متخلفة وبالأحرى مناطق لن يمكن أن تتقدم دون معونة استعمارية ، أن سياسة الحكومة تستهدف تنمية مصادر أمثال هذه المستعمرات الى أقصى حد ممكن ، وانى أرى أن مثل هذه السياسة وحدها هى التى تستطيع أن تقدم حلا لهذه المشاكل الاجتماعية الكبرى التى تحيط بنا » .

ونحن اذا استمعنا الى وزراء العمال أو الى المكتب الخاص بالمستعمرات لوجدناهم يتحدثون بنفس اللغة التى كان يستعملها قراصنة الاستعمار من قدامى المحافظين منذ نصف قرن مضى ، وقد صرح تشمبرلن فى عام ١٨٩٦ بقوله : « ان أحدا لا ينازع اليوم الامتيازات الهائلة التى تنتجها امبراطورية موحدة نحتفظ فيها لأنفسنا بما يعود علينا من ربح التجارة وهو الربح الذى يستفيد منه الأجانب بالفعل فى الوقت الحاضر — صدقونى أن خسارة

سيطرتنا ستؤثر بالدرجة الأولى على الطبقة العاملة فى بلادنا — ولن نستطيع أن تتصور بؤسا أعظم مما قد يحل بنا ، ان انجلترا لن تعود قادرة على اطعام هذا العدد الضخم من سكانها » .

وهكذا أصبح أصحاب الملايين من مستغلى المستعمرات يعرضون الأمر بكل جرأة واستخفاف بالعقول باعتبار أن الامبراطورية هى السبيل الوحيد الاقتصادى الذى لاغنى عنه من أجل انقاذ الشعب البريطانى من الجوع . .

هل أدت هذه السياسة الاستعمارية الى النتيجة التى فرضها فلاسفة الاقتصاد البريطانى المفلس ؟ هل ارتفع مستوى الشعب البريطانى من اغتصاب موارد البلاد الأخرى وكبت حرياتها ؟

ان الشعب البريطانى يدفع الثمن فى المطالب العسكرية والحروب الامبراطورية والاستعمارية ، وتلك الأزمات المتلاحقة التى تتعمق أسبابها يوما بعد يوم والتى تهدده بالخراب والانهيار التام ، لم يفطن الشعب البريطانى الى أن هذه السياسة المشئومة هى سبب تدهور الزراعة فنقصت المساحات المزروعة نقصا كبيرا فكان لابد من بذل جهود يائسة لاستعادة الأراضى المهملة لانتاج المحصولات الزراعية التى تحتاجها البلاد بسبب ظروف الحرب كما تخلفت الصناعة البريطانية فبعد أن كانت بريطانيا تعد ورشة العالم أصبحت يوما بعد يوم موطن الصناعات المتخلفة بالقياس الى تقدم المستوى الصناعى والفنى فى أمريكا وروسيا وألمانيا .

وقد أحس حكام الغرب أمام هذا النذير الواضح الذى تدوى به ثورة الشعوب وموجة التحرير الصاعدة الزاحفة نحو النصر فى

آسيا ، والحركة لبواعث التحرر والاستقلال فى أفريقيا ، أن حكم الادانة قد أعلنته هـذه الدقات الجنائزية ، وأن نظـام بلادهم الاستعمارى فى أوربا وأمريكا والذى يستمد حياته من التطفل الاقتصادى والفساد السياسى، الذى يعرف خطأ باسم الديموقراطية الغربية أو المدنية الغربية، قد آذن عهده بالمغيب ، وتحت عنوان «جبهة الشرق الأقصى » صـدرت افتتاحية « التيمز » الانجليزية فى أول مارس سنة ١٩٤٩ تقول : « ان الحركات الثورية فى آسيا الشرقية على العموم من شمال الصين الى أندونيسيا والملايو وبورما، أخذت تغير من خريطة العالم الاستراتيجية والسياسية وأن مصائر ما يقرب من ألف مليون من الشعوب يعاد تشكيلها ، ولذلك فان تهـديد سلامة الغرب قد أصبح بالغا حد الخطورة . فضلا عن أن أفريقيا بدورها قد باتت تغلى فى بوتقة الصراع » .

وبنفس هذه الصراحة الذليلة تعلن الافتتاحية ذاتها الخطـة الكبرى فى أن تكون آسيا الشرقية هى القاعدة الرئيسية لأوربا الغربية ، وهى خطة ظاهرة السخف من الوجهـة الجغرافيـة أو الديموقراطية أو الانسانية ، وان كانت مقبولة تماما من وجهة نظر الاقتصاد الاستعمارى، وعلى أساسها تعلن صحيفة الطبقة الحاكمة البريطانية الدعامة المادية للروابط الروحية بين الامبراطورية ورسالة الرجل الأبيض الذى بدأ ينتابه اليأس المرير ويحـل به الشقاء حينما يحس فجأة أن الغنيمة توشك أن تفلت من بين يديه : ان القلاقل فى المنطقة الأسيوية تهدد الموارد الغنية بالمواد الخام التى تحتاجها بريطانيا وفرنسا وهولندا أشد الاحتياج ، فبفضل نصف

المليون من أطنان المطاط والستين ألف من أطنان القصدير التى كانت الملايو تنتجها سنويا قبل الحرب وبفضل أرز بورما ومعادنها وأخشابها ، استطاعت هذه البلاد أن تجمع جزءا كبيرا من فائض دولارات منطقة الاسترلينى . .

أما بالنسبة لهولندا فان وجودها كواحـــدة من الدول ذات الشأن يتوقف تماما على نجاحها أو فشلها فى الوصول الى اتفاقية مع أندونيسيا الغنية بالزيت والمطاط والقصدير والبن » .

وعلى غرار ماكتبته الصـــحيفة « التيمز البريطانية » نشرت صحيفة « نيويورك تيمز » رسالة لمراســلها فى جنيف بتاريخ ١١ يناير ١٩٤٩ يبين أن التسلط على المستعمرات أمر لا مفر منه لاعادة تعمير أوربا الغربية ، فكتبت تقول : « لا ريب أن مستوى المعيشة العالى فى أوروبا يتوقف الى درجة ما على مدى ما يتوفر من مواد خام وعمل رخيص فى آسيا وأفريقيا ، وبالرغم من أن النظام الاستعمارى القديم قد أصبح طرازا عتيقا فان تعمير أوربا لن يمكن تحقيقه بدون هذه الثروة التى يهددها الاندفاع الجديد نحو التحرر . .

وليس من شك فى أن هذه المناطق تستطيع أن تنتج كل هذه الثروة وأكثر منها وأن تضاعفها باستمرار اذا كانت تتمتع بحريتها ولكن الدول الأوربية لن تحصل على شىء فى هذه الحالة الا على أساس التبادل المتكافىء لمصلحة البلاد المنتجة وتقدمها ، وليس على أساس الاستغلال الاستعمارى .

كتب أحد السفراء الأمريكيين الى رئيس حكومته « الحكومة

الأمريكية » وهو الرئيس « ولسن » فى ذلك الوقت :

« ان مستقبل العــالم لنا ، ان هؤلاء الانجليز ينفقون رأس مالهم والآن يجدر بنا أن نفكر فيما عسانا نصنعه عندما يتضح تماما أن مقاليد العالم قد ألقيت الى أيدينا — وفيما عسانا نفعله كى نستخدم البريطانيين بأقصى ما تتيح لنا الديموقراطية — ان الامبراطورية البريطانية قد آذنت أن تصبح فى ذمة التاريخ .

ان تلك الصفحات العظيمة التى تسجل قوة بريطانيا ومجدها وعظمتها التى رفرفت ألويتها فوق العالم وسيطرت عليه أكثر من قرنين قد قاربت النهاية . وأمريكا هى الوريث الطبيعى لزعامة العالم التى احتفظت بها الامبراطورية البريطانية كل هذا المدى الطويل ، لقد كنا مستعمرة لبريطانيا فى وقت من الأوقات وستصبح هى مستعمرتنا عن قريب لا بالقول بل بالفعل ، ان الآلات قد مكنت بريطانيا من فرض سيطرتها على العالم ، والآن فان آلات أخرى أفضل ستمكن أمريكا من فرض سيطرتها على العالم وعلى بريطانيا ولا ريب أنه قد يكون من المخيف التفكير فى سيطرة أمريكا على العالم ولكن السيطرة الأمريكية مع ذلك لن تكون أسوأ من سيطرة بريطانيا أو من سبقتها من الأمم الاستعمارية الأخرى . .

ان كل يوم يمر يؤكد أن واجب الولايات المتحدة الأمريكية لا يقتصر على أن تقود الشعوب الناطقــة بالانجليزية ، بل على الولايات المتحدة أن تستعد لادارة شئون العالم الحر . .

**فانه بالقدر الذى تضعف فيه انجلترا يجب على الولايات**

المتحدة أن تزداد قوة ، وكلما تقلصت قبضة انجلترا على العـــالم يجب أن يتمدد النفوذ الأمريكى،وحيثما تنتهى سيطرةانجلترا يجب الأمريكى » .

وتلك هى وسائل الاستعمار فى بسط نفوذه ، الوسائل التى طالما لجأ لها ، وطالما حالفه التوفيق فيها ، لكنها اليوم ما عادت لتقيم أود الاستعمار ، فقد استيقظ الأحرار فى كل مكان ، ومع يقظة الأحرار . . لم يعد للاستعمار مكان .

# الفصل الثانى

## مناورات إستعمارية مكشوفة

فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وضع الكاتب الأمريكى ( لورب ستودارد ) كتابا عن ( عالم الاسلام الجديد ) قال فيه :

« ... أخيرا تحرك الشرق الجامد . تحرك من صميم أغواره وانه ليتأهب اليوم لوثبة عجيبة . ان قوى فى صدره لتتأجج وأن أفكارا فى عقله لتختمر . كل هذا فجأة وبصورة عميقة ما سبق للعالم أن عهدها فيه . هذا الشرق الذى لبث فى نوم عقلى وروحى نحوا من ألف عام ، ينفض الآن عنه الكرى وينهض على قدميه ليسير من جديد . يسير الى أين ... لسنا ندرى . وانه لمن الجرأة أن تتنبأ بما سوف يتمخض عن هذا التأجج العظيم فى السياسة . والاقتصاد والاجتماع والدين وغيرها من دعائم الحضارة الانسانية ولكننا نأمل أن يصحب هذه الجهود والآلام مولد شرق وقد بعث ليحتل مكانه فى عالم جديد ... »

واذا تأملنا ماكتبه هذا الأمريكى بعد الحرب العالمية الأولى نجد أن الأيام قد أثبتت كل حرف فيه ، وكانت هذه الصيحة المخلصة من كاتب حر كفيلة بأن توقظ الغرب من سباته العميق فيعلم أن الشرق على أبواب ثورة عاتية تقلب الأمور رأسا على عقب وكان أولى بالغرب أن يستمع الى كلمات العقلاء فيخفف من غلوائه ويشرع فى رسم سياسة جديدة تتناسب مع هذه الوثبة

المتوقعة ... ما كان للضعيف أن يظل ضعيفا . . لكن ساسته كانوا فى واد آخر . . لم يؤمنوا بالتقدم .. ولم يستمعوا لصوت العقل.. ولكنهم فقط فتحوا أفواههم الشرهة وأبقوا عقـولهم مسدودة الآذان ، وعاشوا يطبقون سياستهم الاستعمارية ،سياسة القرن التاسع عشر ...

لم تتطور سياسة الغرب مع نهضة الشرق ولم يحاول الغرب أن يتلاءم مع الظروف الجديدة التى اجتاحت دول الشرق ...

واذا كان العلماء يعرفون الذكاء بأنه « سرعة التـكيف مع الوسط الجديد » ... استطعنا أن تقول أن ساسة الغرب لم يكونوا أذكياء .

نزلت بالاستعمار بعد ذلك ضربات هائلة فتقلص نفوذه .. وتراجع مذعورا الى دياره يبكى الامبراطوريات الزائلة . . . والمستعمرات التى ذهبت مع أحلامه أدراج الرياح . . ولكن هل أراح الاستعمار واستراح ؟؟

كيف يكون ذلك وقد اتفقنا أن ساسة الغرب تنقصهم سرعة التكيف مع الوسط الجديد أو بالاحرى ينقصهم الذكاء ... ؟؟

وعاشت بريطانيا أستاذة الاستعمار فى الغرب بهذه العقلية الغريبة ، وما حدث فيهـا من جراء تأميم مصر لشركة القنـاة لخير شاهد على مدى ما يتمتع به ساستها من نعمة الغباء ..

قضت بريطانيا فى مصر أكثر من سبعين عاما ولكنها فشلت فى فهم العقلية المصرية والروح المصرية ... فشلت فى معرفة حقيقة هؤلاء الناس الذين أذاقتهم العبودية سنين طويلة ...

ان بريطانيا لا تستطيع أن تتصور أن حكام مصر قد تغيروا .. فما زالت تناور وتتلاعب حاسبة أن من يحكم مصر اليوم هم من نفس الطينة .. طينة محترفى السياسة فى عهود الظلام ...

لا تستطيع بريطانيا أن تفهم ذلك .. ولا تستطيع فرنسا أن تفهم هذه الحقيقة ... تتطور الدنيا وتتغير الأمم ولـكن عقليـة الاستعمار واقفة لا تتغير ولا تتبدل .

فدول الغرب مثلا التى نجحت قديما فى بث الرعب فى حكام مصر من الشيوعية وخطرها ، لم تتصور أن فى امكان مصر أن تتصل بغيرها من الدول ، لذلك دهشت دول الاستعمار عندما خرجت مصر من قيودهم فعقدت صفقة لشراء الأسلحة من دول الكتلة الشرقية .. وعندما حدث ذلك ذعرت دول الغرب ... كيف حدث ذلك ?? . .

وكان السؤال الذى عجز ساستهم عن الجواب عليه ... ولماذا لا يحدث ذلك ???

لم يستطع ساسة الاستعمار أن يفهموا الحقيقة الواضحة التى أعلنها جمال عبد الناصر عشرات المرات ، وهى أن مصـلحة مصر لا تفرق بين شرق وغرب ، وأن الذى يحكم علاقتها بكلتا الكتلتين هو صالحها فحسب . . وأنه لذلك يمكن التفاهم مع أية دولة من دول العالم على ضوء هذه الحقيقة الواضحة .. سيادة مصر ..

قامت بريطانيا بمناورات سياسية وعسكرية واقتصادية [1] بل حاكت المؤامرات عندما أممت مصر شركة قناة السويس . . وكانت

---

(١) وقت كتابة هذه السطور لم يكن العدوان الاخير قد وقع ولهذا تروى السطور الظروف وقت كتابتها وليس بعدها .

حجة بريطانيا التى تستند عليها فى كل هذه المظاهرات أنها تخشى أن تتعطل الملاحة فى القناة ...

أعلنت ذلك واستصرخت واستنجدت بدول الأرض وشحنت الجنود وحركت الأساطيل لتحفظ حرية الملاحة فى الوقت الذى عقد فيه وزير خارجيتها اتفاقا سريا مع وزير خارجية فرنسا لسحب مرشدى السفن من الانجليز والفرنسيين مع التلويح لهم بالتعويضات الضخمة ... وذلك حتى تتعطل الملاحة فى القناة وتظهر أمام العالم بمظهر المجنى عليه بل المسارع لنجدة الحرية الملاحية .. ومن هنا يكون لها أن تتدخل فى شئون مصر الداخلية .. بل ربما لتستعيد نفوذها فى هذه المنطقة الحيوية من العالم ..

ولم تكن حرية الملاحة هى سبب هذه الثورة التى اجتاحت بريطانيا ولم تكن هى السبب الذى من أجله أصيب ساسة فرنسا بالهوس ، كانت الجزائر خلف فرنسا ... فرنسا التى أصيبت بأكبر الضربات فى الهند الصينية وفى تونس وفى مراكش وتصيبها كل يوم أضخم الضربات فى الجزائر ... فرنسا هذه تملكها الغيظ والحقد لامن أجل الملاحة فى القناة فهى تعلم تماما أنها مكفولة بل ثارت لأنها عرفت أن هذه الخطوة سيكون لها أسوأ الآثار فى موقفها فى الجزائر ...

وصرح بعض الصحفيين الفرنسيين الذين قدموا للقاهرة لحضور المؤتمر الصحفى العالمى الذى عقد فى ذلك الوقت صرحوا بأن أى صحفى شريف رأى منطقة قناة السويس وكيف تسير الملاحة فيها لا يسعه الا القول بأن

الادارة الحالية للقناة ممتازة تمـاما وأن على دول العـالم أن تطمئن ... اذن ليست هي حرية الملاحة التي أصابت ساسة فرنسا بالجنون ...

وأما بريطانيا فقد تخلى السيد ايدن عن وقاره فأرغى وأزبد وقاد حملة من الأكاذيب والضلالات ... فلماذا ! ؟

ان بريطانيا كانت تستولى من أموال القناة على خمسةملايين من الجنيهات .. فهل أحدثت هذه الملايين الخمسة حالة الذعر والفزع ؟؟ . .

لقد لجأت الحكومة الانجليزية الى تضليل الرأى العام عن طريق الصحف .. وقاد ايدن حملة مدبرة من الأكاذيب...فنشرت صحيفة الايفننج نيوز تقول ان هناك فقرة كتبها عبد الناصر فى كتابه فلسفة الثورة يقول فيها ( ستقوم دولة عربية كبيرة قلبهـا مصر .. ورأسها أنا .. ) .

هذا ما كتبته الجـريدة الانجليزية بنصه ... وفى وسع أى انجليزى أن يتصفح كتاب فلسفة الثورة بحثا عن هذه الفقرة وهو لن يجدها الا فى صفحات وكتب ساسة بريطانيا السوداء ...

المقصود هو اشعار الرأى العام بالخطـر .. وتعبئة الشعور ضد هذا الرجل الذى أيقظ الشرق وقلص نفوذ الاستعمار .

وأسرفت الحكومة البريطانية فى اشاعة خوف الغـرب على بترول الشرق الأوسط فقالت ان ذلك يعرض ٥ ملايين من العمال للتعطل ويقضى على الصناعة فى غرب أوربا ووصلت الرغبة فى

التهويل الى حد أن سير ايدن أراد أن يمعن فى اثارة الرأى العام فى بيانه الذى ألقاه بالتلفزيون .. فأشار كذبا الى وعـد من رئيس جمهورية مصر لصالح شركة القناة ثم عرض ورقة قال انها المستند الذى يثبت وعد مصر ... وكان عرض الورقة بطريقة ديماجوجية تمثيلية أثرت فعلا على رجل الشارع الذى أصبح يعتقد أن هناك حنثا فى وعـد مكتوب من جانب الرئيس عبد الناصر وأن لدى حكومة بريطانيا مستنداً يدل على ذلك ...

ولم يحدث فى تاريخ العالم حتى فى عهود البرابرة أن خدع رئيس حكومة شعبه بهذه الطرق المسرحية الديماجوجية .

ولنسأل الآن ماذا يريد أنطونى ايدن ، هل يريد تبرير تدخل القـوة العسكرية ؟ أو يريد أن يحمى مستقبله السياسى ؟ أو هل يريد أن يفى بتعهداته التى أعلنها وهى أنه سيسيطر على منطقة القناة ولو بقى وحده منفردا ... ؟

هل يريد أن يغطى فشله فى تقلص نفوذه فى الشرق الأوسط ...

أعتقـد أن أول فـكرة طافت بخيـال السير ايدن أو بعض مستشاريه المستعمرين هى القضاء على العهد الحاضر فى مصر .. والقضاء على القوة التى تهددهم فى المستقبل وبذلك يقضى تماما على القومية العربية وتسهل السيطرة عليها من جديد .

ولكن صبرا يا ساسة الاستعمار . . حقيقة بسيطة يجب أن تعيها عقولكم . . اذا حاربتم فى الشرق لن تحاربوا حكومات ولن تحاربوا جيوشا . . ولكنكم ستحاربون شعوبا بأسرها .. وليذكر

عقلاؤكم أن بضعة عشرات من الفدائيين المصريين أذاقوا جيوشكم الويل فى منطقة القناة وكان عددها ثمانين ألفا . .

ومتى كانت جيوشكم تحارب ياسير ايدن ؟؟ ان بريطانيا كانت دائما تدفع بجنود المستعمرات الى أتون الحرب بينما كان جنودها يحتفلون بالنصر فى الخطوط الخلفية !!

واذا حدثتك نفسك باستعمال جنودك فنحن فى انتظارهم . . سيجدون حربا فى العلن وأخرى فى السر ...

هل تذكر ماذا يحدث فى باريس كلما أوشك قطار أن يقل جنودا فرنسيين الى الجزائر ... ؟ هل تعرف ماتفعله نساء باريس ورجالها ؟ هل تعرف أنهم يولولون خلف القطارات حتى تفف خوفا على أبنائهم .

غدا سينقل المنظر الى لندن لو اجترأت على ارسال جنود بريطانيا الى القناة .

لقد أدرك الرأى العام البريطانى هذه الحقائق أسرع من أنطونى ايدن وحكومته . . وأحس الرأى العام برد الفعل المتوقع فى حالة استخدام القوة .. وتصور ماذا سيحدث لو انتشرت المقاومة والحرب فدمرت منشآت البترول .

حقيقة أخيرة يجب أن يعلمها ايدن وهى أن جمال عبد الناصر لا يمكن القضاء عليه لأن عبد الناصر أصبح مبدأ يدين به العرب وصار فكرة تعتنقها شعوبهم ...

والمبادىء لا يقضى عليها والأفكار لا تهدم بطلقات المدافع . وتحركات الأساطيل ... ولأذكرك مرة ثانيـة بمـا كتبه الكاتب الأمريكى لورب ستودارد .

« أخيرا تحرك الشرق الجامد ... تحرك من صميم أغواره .. وأنه ليتأهب اليوم لوثبة عجيبة . »

# الفصل الثالث

## الدولار ومشكلة القناة .. !

فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وبعد أن تحقق الحلفاء من النصر اجتمع زعماء المعسكر الغربى يتدارسون الموقف ووجدوا أن النصر الذى تحقق لهم لم يكن وليد قوتهم وحدها بل كان لهم حليف شارك فى سحق القوى الهتلرية بمجهود لا ينكر ووجدوا أن هذا الحليف وهو يملك القوى الهائلة قد يستعمل هذه القوى ذات يوم ضدهم بعد أن استعملها كحليف لهم أمام أطماع هتلر .

وظهر أمام سياسى الغرب أن الشيوعية قد صارت قوة لهـا خطرها وكان لابد لهم من أن يعملوا فوقف ونستون تشرشل يقول:

« لو اتحدت الشعوب الناطقة بالانجليزية لأمكن القضاء على الخطر الشيوعى » .

ومنذ ذلك الوقت أعلن قيام كتلة غربية على مسرح الصراع العالمى .

ثم سارت الخطة لضم أكبر عدد ممكن من الشعوب لهـذه الكتلة الغربية . ولم يكن أمام الغرب أقوى من اغراء المـال فبدأ الدولار يأخذ مكانته وظهر مشروع مارشال الذى مد يد المساعدة للدول التى أنهكتها الحرب ولم تترك لشعوبها شيئا،وكان الصراع عنيفا داخل الشعوب بين الموت جوعا وبين الارتماء فى أحضـان الغرب ، وتغلبت الرغبة فى الحياة وزادت الكتلة الغربية عددا .

وشمل مشروع مارشال جميع الدول المتعاونة مع الغرب عدا اليونان ، اذ كانت اليونان فى ذلك الوقت مسرحا لصراع عنيف بين القوى الشيوعية وأعدائها، وكانت الامدادات تصل الى الشيوعيين تباعا من يوغوسلافيا . . ولكن عندما وقع الصدام بين تيتو والكرملين توقفت الامدادات وتغلبت القوى المتعاونة مع الغرب ووصل مشروع مارشال !

ولم يكن المشروع وان كان ظاهره المساعدة الا أداة جديدة من أدوات الاستعمار ربما أقتل من المدافع ومن أدوات الدمار ...

وصار الدولار سيدا وسلاحا يسلط على الدول التى لا تخضع سياسيا للمعسكر الغربى .

وتنبهت روسيا بعد الحرب الى هذه الخطة وقاومتها بانشاء الكتلة الشرقية التى انضمت اليها تلك الدول التى تدين بالمبادىء الشيوعية ...

وغير روسيا تنبهت كذلك الدول المتحررة ، تلك الدول التى وجدت أن لا مصلحة لها فى أن تسير فى ركاب أحد المعسكرين .. ومن تلك الدول مصر . . التى اختطت لنفسها سياسة استقلالية تنبع كل مواردها من صميم كفاح شعبها ومن آماله وطموحه، وتعاونت مع المعسكرين المتصارعين على قدم المساواة وفقا لصالحها، وصالحها فقط ...

ووقفت مصر خلال الأزمات التى مرت بها خلال الهجمات المتتالية من المعسكر الغربى لبسط نفوذه بالمساعدات الاقتصادية، وبالأحلاف العسكرية ، وقفت تصد عنها طوفان الاغراء وهى تعلم

تماما أنه من مصلحتها السياسية الاستقلالية ألا ترتبط بأى من الكتلتين ، وعندما تأكد الغرب من سياسة مصر وأنها جادة فيها كل الجد ، كان سحب تمويل مشروع السد العالى .. وبهذا كشف الغرب النقاب عن سياسته وعلم الذى لم يكن يعلم أن الغرب انما يبعث بالسياسة خلف الاقتصاد وبالاستعمار وراء الدولار . .

وكان سحب التمويل يقصد به ارهاب الدول التى تدعو الى الحياد الايجابى وهى يوغوسلافيا والهند،وليس من قبيل المصادفات أن يعلن سحب تمويل المشروع يوم اعلان قرارات مؤتمر بريونى التى تدعو الى الحياد والى نبذ التحالف العسكرى وتنادى بالسلام ..

لم يكن من قبيل المصادفات أن يعلن سحب التمويل يوم اذاعة قرارات المؤتمر ولكنها حركة مسرحية يقصد بهـا التخويف أولا وانقاص هيبة جمال عبد الناصر ونفوذه فى منطقة الشرق الأوسط بل وعند الدول المتحررة بوجه عام .

ظهر للعالم أن تمويل السد العالى وأن سحب هذا التمويل لم يكن عملا اقتصاديا فحسب بل موضوعيا سياسيا فى كل تفاصيله ..

ثم كان رد مصر الذى أطاح بدولتى الاستعمار انجلترا وفرنسا . ولأول مرة فى التاريخ تتخلى بريطانيا عن وقارها المصطنع فتشن حملة تخرج فيها عن قواعد الذوق وتخرق الأسس الدبلوماسية وتنحدر الى مستوى يقل كثيرا عن مستوى الرعاع ..

ولأول مرة أيضا فى التاريخ تفقد دولة أعصابها فتركز هجومها على شخص رئيس دولة أخرى . . وكانت حملة التضليل التى اتخذت لها هدفا جمال عبد الناصر . .

وانتقلت المسألة الى الخداع والتضليل فى حين أنها مسألة تتعلق بايدن وحده أى أنها مسألة حزبية داخل بريطانيا فقط مما أجمعت معه الدوائر السياسية فى جميع أنحاء العالم على قرب انهيار ايدن سياسيا .

وكانت المظاهرات العسكرية ؛ وقد يكون من المسلى حقا أن نذكر أن الصحف البريطانية كانت تصور طابورا للمدرعات التى تحركت لايقاف توغل النفوذ المصرى فى الشرق الأوسط وعندما يطلع عليها العسكريون يغرقون فى الضحك اذ لم تكن سوى أنواع بالية من المصفحات الصغيرة . كان ذلك للاستهلاك المحلى ولاظهار موضوع تأميم القناة أمام الشعب البريطانى وشعوب غرب أوربا بمظهر خطير يهدد مصالح الرجل العادى فى هذه الدول !

ونستطيع أن نتساءل الآن وما مصلحة ايدن فى التهويل فى الأمر والقيام بهذه الحركات المسرحية ؟

الجواب على ذلك هو حالة بريطانيا الاقتصادية ، هو التضخم الكبير الذى تعانيه ، وذلك البرنامج الذى رسمته حكومة ايدن لعلاج هذا التضخم بزيادة الانتاج وقد حدث أن قامت الحكومة بتوفير ما يزيد عن ١٣ ألف من موظفى الدولة ..

وفى وسط هـذه الأزمة التى توشك أن تنفجر فتطيح أول ما تطيح بالسير ايدن نشأت مشكلة القناة وكانت طريق الخلاص .

ان ما تعانيه بريطانيا وما سوف تعانيه يرجع الى تأميم مصر لقناة السويس ... حتى يعتقد الشعب البريطانى أن الكارثة التى

لابد واقعة ترجع الى تأميم مصر للقناة ولا ترجع الى سوء سياسة ايدن الاقتصادية ...

ثم كان مؤتمر لندن ولوحظ منذ البداية أنه لايستند الى أية صفة قانونية مما حدا برئيس وفد الهند كريشنامنون أن يعترض على محاولة سلوين لويد اعطاء المؤتمر صـفة دولية بقوله : ان الاجراءات التى ستتبع فى هـذا المؤتمر هى نفس اجراءات هيئة الأمم .. ونجح كريشنامنون فى اظهار ذلك بمظهر العمل غير القانونى وترك الموضوع جانبا .

ثم ظهر شىء غريب حقا فان تلك الدول التى صرحت بأن مصر محقة فى تأميم القناة وأنها أى مصر لم تخرق أية معاهـدة دولية عادت هذه الدول نفسها فتخاذلت أمام زعماء حلف الأطلنطى وحلف بغـداد ومنظمات الدفاع .. وكيف يمكن أن تتصـور أن تركيا المهددة بالانهيار تعارض انجلترا وأمريكا ؟

ومن أغرب مالوحظ على هـذا المؤتمر هو أن ممثلى العالم الحر كان كل منهم يتكلم فى المؤتمر وأمامه هدف واحد هو ارضاء الرأى العام فى بلده ، فبينو مثلا كان ينتظر بتلهف تعليقات الصحف الفرنسية على كلمته ... وسلوين لويد كان يتحفز لمعرفة صدى خطبته فى الرأى العام الانجليزى ..

لم تكن حرية الملاحة هى التى تعنيهم ولم يكن حل القضـية ولكنها أسباب حزبية شخصية فحسب ...

ولنا أن نتساءل الآن لماذا توقفت انجلترا وفرنسا عن اتخـاذ الاجراءات العسكرية التى قيل أنها ستتم خلال ٤٨ ساعة .

انهم لا يتورعون عن القيام بأى عمل ضد الانسانية وأساليبهم الاستعمارية تتكرر دائما ، فهم الذين قاموا بنفى مكاريوس عام ١٩٥٦ بنفس الطريقة التى نفى بها سعد زغلول عام ١٩١٩ بل وفى نفس المكان .

ولهم من أساليب الاستعمار البالية ما يجعلهم يوجهون للانسانية أكبر الضربات فى راحة ضمير .

فلماذا أحجموا ؟؟

أهو انتشار مبدأ عبد الناصر فى الدول التى تضامنت مع مصر وأظهرت تضامنها فى الاضراب يوم افتتاح المؤتمر ؟

أم هل تدخلت حليفتهم الكبرى التى كانت مشغولة بمعركتها الانتخابية ؟

أم هو الخوف من روسيا التى أظهرت بشكل واضح صداقتها واخلاصها للقضايا العربية ؟

أم هى كل هذه الأسباب مجتمعة ؟؟

بقى شىء أود أن أقوله لدولتى الاستعمار ... ان الشعوب قد استيقظت وان فى الشرق الأوسط يقظة كافية لكى تقضى على كل محاولة استعمارية فى مهدها ... اليوم لم تعد هناك دول عظمى تتحكم وتستعمر فعفاء على الامبراطورية ..

أما فرنسا فغدا نراها قد تقلصت وعادت الى آخر الصفوف وقد سبقتها هولندا فى هذا السبيل !

# الفصل الرابع

## القناة . . ونهاية فرنسا

نستطيع أن نقول دون أن نجانب الصواب أن موقف فرنسا، من مسألة قناة السويس هو موقف « الجبان صاحب الصوت العالى » ..

ففرنسا لا تملك القوة العسكرية فى حالة تتناسب مع الدور الذى تحاول أن تقوم به .

ولكى نفهم الدور المسرحى الذى تلعبه فرنسا على مسرح الاحداث سنحاول معا أن نصل الى أسباب هذه المسرحية ومسبباتها.

لاشك أن الرأى العام فى فرنسا حاقد أشد الحقد على حكومة جى موليه وذلك بسبب حرب الجزائر التى أرسلت اليها فرنسا نصف مليون جندى يحاربون المواطنين الذين ينادون بالحرية ومعنى وجود نصف مليون جندى فرنسى فى الجزائر أن هناك نصف مليون أسرة فرنسية فى حالة قلق مستمر !

وكان الرأى العام الفرنسى قبل مسألة القناة يصوب سهامه الى حكومة جى موليه بكل الطرق سواء عن طريق الاذاعة أو المظاهرات.

وكان أمام حكومة جى موليه اما أن تفاوض الوطنيين فى الجزائر فتسلم بمطالبهم تسليما ينهى الحرب ، فيرضى الرأى

العام ولكن هــذا الحل الذى يرضى المواطن العــادى يغضب السياسيين فى نفس الوقت ، فهؤلاء لايعيشون الا على الأزمات والرشوة . والذى يغذى حملة الجزائر هم أصــحاب رؤوس الأموال وكبار المستعمرين فى شمال افريقيا .

وكانت الحــكومة فى حالة سياسية خطيرة الى أن جاءت مسألة قناة السويس فوجدتها فرصة ذهبية تحول اليها أنظار الشعب عن مسألة غير مسألة الجزائر .

وقبــل أن نسترسل طويلا نستطيع أن نسأل ولــكن لماذا تلقفت حكومة فرنسا مشكلة القناة كى تخلق أزمة تبعد الأنظار عن مشكلة الجزائر ؟

أول الأسباب أن ساسة فرنسا يعلمون جيدا أن الوصول الى نصر عسكرى والقضاء على ثورة الجزائر ضرب من المحال وسبب ذلك جمال عبد الناصر ، الذى أصبح نفوذه قويا فى كل الدول العربية .

ولكى يتحقق هــذا النصر العسكرى لابد من القضاء على شخص جمال عبد الناصر وهذا لا يتحقق الا باستعمال القــوة العسكرية ضد مصر .

هذا هو لب الموضوع وسبب التكالب على مشكلة القنــاة ومحاولة اقناع الشعب الفرنسى أنه اذا حلت المشكلة ســلمت الجزائر وعادت القوات الى أوطانها .

ومن هنــا بدأت الحــكومة الفرنسية تشن حربا شــعواء مستعملة كل أساليب الدعاية المسمومة .

وهكذا أخذت صحافة فرنسا تلقب عبد الناصر بالديكتاتور وبهتلر محاولين تحريك الحقد التقليدى فى نفـوس الفرنسيين ضد الديكتاتورية وضد هتلر بالذات .

وقامت شركة القنـاة عن طريق شارل رو ، وجورج بيكو بنشـاط فدفعت الأموال الطائلة الى عـدد من النـواب ومن السياسيين ليكتبوا وليخطبوا فى البرلمان ضد جمال عبدالناصر .

وقد ثبت أن شارل رو هو الذى يكتب المقالات التى ينشرها بول رينو رئيس وزراء فرنسا السابق .

أما اسرائيل فقد لعبت دورا هاما فى فرنسا وقد وضح خلال مؤتمر لندن فى خطاب وزير خارجية فرنسا أصبع اسرائيل ، فكان العرض الذى أشار الى اسرائيل وحـق السفن الاسرائيلية فى المرور فى القناة .

أما موقف الصـحافة الفرنسية فغريب ، ففى بادىء الأمر كانت صـحف فرنسـا كلهـا تشـايع اسـتخدام القوة ضد مصر . ثم هدأت النغمة أخيرا وبدأت بعض الصحف تقول لقد فاتت الفرصة ... كان لابد من استعمال القوة منذ الأسبوع الأول ... أما الآن فكل يوم يمر يستفيد منـه جمال عبد الناصر .. استعمال القوة أصبح الآن أمرا مستحيلا !

وقد تمادت بعض الصحف الفرنسية فقالت فى صراحة أن مستقبل فرنسا يتوقف على القضاء على جمال عبد الناصر .

ولعل أوضح ما يكشف لنا الستار عن صحافة فرنسا هو هذا الدليل :

كتب أندريه موريس النائب الراديكالى الاشتراكى لمنطقة اللوار ، والوزير السابق مقالا فى مجلة جوردى فرانس تحت عنوان « ليس لنا الحق فى أن نضيع الفرصة ولابد من الابقاء على فرنسا » .

كتب يقول تحت هذا العنوان :

« ان تصرف عبد الناصر المفاجىء أتى الينا بالحظ . . ان الفرصة التى أتاحها لنا جمال عبد الناصر بتصرفه الخاطىء كبيرة جدا فى معركة الحياة أو الموت التى نجتازها فى شمال أفريقيا . وهذه الفرصة سنحت لنرد على جمال عبد الناصر ردا سريعا بلا مظاهر لنعيد الى فرنسا ما فقدته حتى الآن فى معركتها .

واذا لم يقبل حلفاؤنا وخاصة بريطانيا هـذا الحـل وهم يعلمون أن موقفنا فى شـمال أفريقيا موقف حرج .. اذا رفض حلفاؤنا ذلك فعلينا أن نعيد النظر فى علاقتنا بهؤلاء الحلفاء .. »

هذا ما كتبه النائب الاستعمارى الذى يتقاضى المـال من الجنرال بلوك داسو اليهـودى الصهيـونى وصـاحب مجلة جور دى فرانس .

ولكن الصحافة الفرنسية تطورت أخيرا . وكان لهذا التطور أسباب هى :

• اعتقاد فرنسا أن الولايات المتحدة لا يمكن أن توافق على اعتداء مسلح ضد مصر .

• موقف الاتحاد السوفييتى من الاعتداء على مصر الذى

جعل فرنسا وبريطانيا تفكران أكثر من مرة قبل الاقدام على هذه الخطوة .

• بدأت الأحزاب السياسية فى فرنسا تفكر فى اسقاط جى موليبه .

• سياسة لاكوست الوزير الفرنسى المقيم فى الجزائر واتهامه بأنه هو سبب الكارثة فى الجزائر .

ونستطيع أن نذكر استنادا لأوثق المصادر أن لاكوست كان يرسل برقيات يومية الى رئيس الوزراء ووزير الخارجية يقول فيهـا :

اذا ضاعت فرصة قناة السويس فلست مسئولا عما ستتطور اليه الأمور فى الجزائر .

هذا التطور فى موقف صحافة فرنسا يعبر عنه تماما ماكتبه كلود بورديه فى فرانس أوبزرفاتور فقد كتب يقول :

لماذا كل هـذا التهويش ، ان جى موليبه يصرخ فى البرلمان لابد وأن يسلم جمال عبد الناصر . . وبينو يصرخ . . لابد وأن ندفع رسوم المرور للشركة القديمة .. ثم لا يحـدث شىء من هذا . . فلا جمال عبد الناصر سلم ولا الشركة القديمة أصبح لها وجود . . ان الشركة القديمة دفنت ، والمشروع ( الفرنسى ـ البريطانى ) قبر الى الأبد .. أما الادارة الدولية للقناة فلا يمكن الحصول عليها واذا أريد تدويل القناة لابد من تدويل الممرات المائية الأخرى .

ثم يقول :

لا يمكن من الناحية الدولية فرض التدويل على مصر بالقوة العسكرية والسبب فى ذلك التأييد الذى تلقته مصر من الشعوب العربية ومن الكتلة الأسيوية .

والسبب فى ذلك أيضا أن الولايات المتحدة ، غير مستعدة للاشتراك فى أية اجراءات شديدة ، كما أنها تعلم أن الاتحاد السوفييتى سوف يعمل على عرقلة أى اعتداء عسكرى يوجه ضد مصر .

ولا يمكن الا « للدبلوماسيين المخرفين » أن يقولوا أن حربا ما يمكن أن تكون صغيرة ومحصورة !!

ويقول الكاتب أن نغمة التحريض قد هبطت يوما عن يوم .

واذن لماذا هذا التحريض ، ولماذا تلك الخطب الجوفاء، ولماذا هذه المقالات السخيفة ؟! كل هذه الأمور ... لماذا تحدث اذن لقد تمخضت الدبلوماسية ... فولدت فأرا دبلوماسيا !

وشىء طبيعى أن يقال ان شركة القناة قوية ؟ . . انها قديسة القديسين للرأسمالية الفرنسية ، وطبيعى أن الاقتراب من هذه الشركة ، كان معناه الاقتراب من المائة أو المائتين أو الألف عائلة التى تسيطر على الشركات المساهمة وكذلك على جزء كبير من موظفى الخارجية الفرنسية ، فضلا عن أن هذه الشركات، تملك ثلاثة أرباع الصحافة الفرنسية !

ويختتم الكاتب مقاله بقوله :

« يا « جى موليه » ان الأجازات ستنتهى ، والستار سينزل على مسرحيتك العسكرية ؛ والجو بارد فى باريس ، وأعتقد أن البرد سيزداد بين كواليس البرلمان » .

وهكذا نجد أن فى المقال الأول الذى كتبه « أندريه موريس » رأى الفريق الرأسمالى الذى يريد الحرب ، وفى المقال الثانى وكاتبه « كلود بورديه » رأى الفريق الذى أدرك ويدرك لعبة « جى موليه » ووزارته .

اذن ماذا تفعل فرنسا ؟

ان الوزارة الفرنسية الحالية ، أصبحت تعتقد أن استعمال القوة ضد مصر ، أصبح أمرا غير ذى موضوع ، ولا بد من اعادة الثقة الى الشعب الفرنسى والمحاربين فى الجزائر بطرق ووسائل أخرى ، غير الأمانى التى أعلنوا عنها وهى التلويح بالقضاء على جمال عبد الناصر .

وكان « بينو » وزير خارجية فرنسا ، قد أبلغ وزير خارجية بريطانيا أن البرلمان الفرنسى قد أطلق يد الحكومة فى سياستها بالنسبة لمسألة قناة السويس الى حد استعمال السلاح .

وقد لجأت الحكومة الفرنسية فى الأسبوع الأخير — كى تغطى موقفها — الى اللعبة السياسية الكبرى ، وهى اعادة المفاوضة مع الجزائريين .

وتقول المصادر العليمة أن الاتصالات قد تمت فعلا فى هذا الشأن ، وهدف الحكومة الفرنسية بعد ذلك أن تهدىء ثائرة

الشعب الفرنسى الذى تسببت هى فى اثارته ، بأن تقول له ، لقد وجدنا الحل لقضية الجزائر ، وبهذا يعتقد الشعب والمحاربون أن حرب الجزائر وشيكة الانتهاء ، وبذلك توجه أنظار الشعب الفرنسى وجهة أخرى غير وجهة قناة السويس التى فشلت الدبلوماسية الفرنسية فى معالجتها فشلا ذريعا .

وقد كان معروفا منذ أسابيع ، أن جى موليه سوف يسافر الى الجزائر — وقد سافر فعلا — كى يتشاور مع « لاكوست » الوزير المقيم فى الجزائر والذى يلازم احدى المستشفيات بعد أن أجرى عملية استئصال الكلى وكان مفهوما — وان لم يذع هذا — ان المقابلة للتشاور على برنامج شامل يعرض على الجزائريين لوقف القتال .

وهكذا وبعد أن فشلت فرنسا فى أن تجعل من قضية قناة السويس طريقها الى فتح جبهة قتال جديدة ، تحاول أن تتفاوض مع أهل الجزائر لتغطى هذا الفشل .

ان حكومة « جى موليه » تريد قبل أن تنكشف الأمور أن تصل الى اتفاق مع الجزائر وثوارها ليقبلوا على أساسه وبأى ثمن المفاوضة مع فرنسا ، وانهاء حالة الحرب ، ولما كانت فرنسا لا تريد أن تظهر بمظهر الضعف أمام الجزائريين ، فهى تؤكد استمرار الاستعدادات العسكرية ضد مصر .

ومن الغريب أن تصر فرنسا على هذا الموقف وأن تواصل برنامج التهديد باستخدام القوة ، فى الوقت الذى أوشكت فيه

ميزانيتها على الانتهاء ، وأصبحت البلاد فى حالة افلاس لا تتمكن معها من مواصلة حرب الجزائر ، ولذلك تريد فى جو من الدعاية و ( التهويش ) أن تنهى حرب الجزائر .

وثمة أمر آخر له أهميته ، هو أن ما تفعله حكومة جى موليبه الآن بغير حساب ، أمر سيخضع لحساب شديد غدا عندما يعود البرلمان الفـرنسى من اجازته . . وفى غيبته تحـاول حكومة جى موليبه أن تنهى مؤامراتها .

# الفصل الخامس

## الخطة الاستعمارية كاملة

انتقلت معـركة قناة السويس من المؤتمـرات الاستعمارية المختلفة الى أروقة الأمم المتحدة وذلك بالطلب التى تقدمت به حكومتا المملكة المتحدة وفرنسا لدعوة مجلس الأمن الى الانعقاد وبالخطاب الذى سلمه منـدوب مصر الدائم الى رئيس مجلس الأمن مطالبا بانعقاد المجلس للنظر فى الاجراءات التى تتخـذها بعض الدول وخاصة انجلترا وفرنسا من تهديدات عسكرية تتنافى مع ميثاق الأمم المتحدة وتهدد السلام العالمى .

وهذه الخطوة من جانب بريطانيا وفرنسا هى اعلان واضح صريح عن فشل الخطة المحكمة التى سبق أن وضعت بين لندن وباريس ..

ولا شك أنه منذ أعلنت مصر قرار التأميم حاولت الدولتان بكل جهد أن تستعيدا مركزهما المفقود فى هذه المنطقة الحيوية من الشرق الأوسط وسرعان ماطار وزير خارجيـة فرنسا الى لندن ثم عاد يجتمع برئيس الوزراء . .

وتعددت الاتصالات .. وفى الظلام وضعت الخطة الانجليزية الفرنسية . .

ونستطيع الآن أن نزيح الستار عن هذه الخطة الفاشلة والتى كان من جراء فشلها أن ذهبت الدولتان الى مجلس الأمن .

هذه الخطة الفاشلة تشمل شقين وتتم على مرحلتين، أما الشق

الأول : فهو سحب المرشدين والموظفين الأجانب الذين يعملون فى ادارة القناة ... وقد استعانت الحكومتان بجهود المسيو بيكو مدير الشركة المؤممة فى هذا الشأن . . واستعان بيكو بدوره بالتهديد والارهاب والمال واستطاع أن يحطم أعصاب الموظفين والمرشدين الأجانب وتحقق للحكومتان الشق الأول من الخطة الخبيثة وتمت المرحلة الأولى كما تريدان . . وعاد المرشدون الأجانب الى ديارهم . .

أما الشق الثانى : فكان يقضى باحتلال منطقة القناة بواسطة الأسطول وجنود المظلات ثم عودة المرشدين صحبة هذا الجيش المنتصر للعمل مرة ثانية وتسيير الملاحة فى القناة .

واذا كان الشق الأول من الخطة قد تم بنجاح فقد فشل الشق الثانى فشلا ذريعا فقد سارت الملاحة فى القناة سيرها الطبيعى ولم تتحرك الجيوش والأساطيل وذهبت أحلام الاستعمار آدراج الرياح .. وزاد عدد العاطلين فى دول الغرب بقدر مرشديهم العائدين . .

أما لماذا فشلت الخطة أو بالاحرى فشل الشق الثانى منها فان الفرنسيين أنفسهم يرجعون ذلك الى أن نجاحهم فى الجزء الأول تم لأنهم اعتمدوا على أنفسهم فى تنفيذه .

أما المرحلة الثانية وهى المرحلة الايجابية فقد اعتمدوا فيها على مؤتمر لندن وطالت المناقشات وتعددت البحوث وماتت الخطة فى مهدها . .

وفى صحيفة فرنسية كبيرة كتب أحد الكتاب الفرنسيين يقول

ان الخطأ الذى ارتكبته فرنسا وانجلترا هو التجاؤهما الى المؤتمرات الدولية قبل استخدام القوة العسكرية . . وكان المفروض فى رأى الكاتب أن تستخدم القوة أولا ثم تعقد المؤتمرات الدولية التى تواجه الأمر الواقع .

ويستطرد الكاتب فيقول ان جمال عبد الناصر لو لجأ الى مؤتمر دولى لما تمكن من تأميم القناة وسر نجاحه هو اعتماده على سياسة المفاجأة والأمر الواقع .

وقد يكون هذا الكاتب صادقا فى حدسه وقد يكون غير صادق والذى يهمنا اثباته أن خطة الغرب فشلت لسبب واحد فقط هو أنها خطة استعمارية قامت على انتقاص حق دولة حرة فى السيادة على ممتلكاتها وما كان الاستعمار لينتصر بعد أن استيقظت الشعوب وعرفت معنى الحرية ومعنى الفداء . .

واذا انتقلنا من هذه النقطة الى تحليل موقف فرنسا على ضوء أحوالها الداخلية والخارجية فاننا نجد أنها تواجه مصاعب شتى ، هذه المصاعب قد تدفعها الى ارتكاب عمل جنونى فهى الآن أشبه بالحيوان الجريح الذى ينقض على من يقترب منه عندما يوشك على الموت ..

وفرنسا الآن مثخنة بالجراح .. وهى موشكة على الموت وأى اجراء تقوم به لا يتعارض اطلاقا مع منطق الحوادث الجارية هناك..

لقد هزمت فرنسا هزائم منكرة فى الهند الصينية وفى تونس وفى مراكش وهى تهزم كل يوم على أيدى الوطنيين فى الجزائر .

وفى ابريل الماضى عرضت فرنسا على الجزائر حلا للمشكلة

فى اقامة حكم ذاتى فى الجزائر فى اتحاد فدرالى مع فرنسا على أن يترك لفرنسا مسئولية الدفاع والاقتصادوالسياسة الخارجية .

ولقد عرض هذا المشروع على الجزائريين خلال المحادثات السرية التى تمت فى أبريل الماضى ،وقد انتهت هـذه المحادثات بالرفض البات للمشروع . .

وقد عاد المشروع يبعث من جديد فى شكل علنى هذه المرة. ونحن نستطيع أن نؤكد أن المشروع لن يكون هذه المرة أسعد حالا من المرة السابقة فسيكون مصيره الرفض البات .

لقد فرضت فرنسا ضرائب جديدة على الشعب الفرنسى بغية الحصول على ١٥٠ مليون جنيه لتمويل حرب الجـزائر خلال الشهور الثلاثة التالية . ومعنى ذلك أنه مالم يمكن الوصول الى حل للمشكلة خلال هذه المدة فان الحكومة الفرنسية سـتكون مضطرة لفرض ضرائب جديدة .. أو عقد قروض لمقابلة النفقات. أما من ناحية الضرائب فقد صار كاهل الشعب مثقلا بما فرض عليه علاوة على مايرزح تحته من تضخم مالى لم يسبق له مثيل ..

هذا الارهاق ، وهذا التضخم له سبب واحـد هو حرب الجزائر .. التى تشتد يوما بعد يوم حتى شملت العمليات فىالأيام الأخيرة مناطق جديدة لم تطرقها العمليات الحربية من قبل . .

وحرب الجزائر وماتبعها من تضخم اقتصادى وانهيار مالى : هى المشكلة الأولى التى تواجه حكام فرنسا ..

وثمة مشكلة جديدة قادتها اليها رعونة جى موليه وتهور كريستيان بينو .

هذه القوات التى تحركت الى قبرص وتكبدت الحكومة المصروفات الطائلة لنقلها .. هل يستطيع حكام فرنسا أن يعيدوها اليوم الى بلادها . انها لو عادت فغالبا ستحدث عودتها ثورة داخلية ربما أدت الى مذابح ..

لذلك لا يستبعد أن يقدم حكام فرنسا على عمل جنونى يعجل بنهايتهم ، وقديكون ذلك العمل هو القيام باجراءات عسكرية ضد مصر ، والذى يعرف العقلية الفرنسية لا يستبعد قيام جى موليبه وبينو بخطوة انتحارية كهذه الخطوة .. ان ذكرى نابليون لازالت مسيطرة على عقلية الفرنسيين من رجل الشارع حتى رئيس الجمهورية . . وهذه الذكرى نفسها ستقود فرنسا الى نهاية النهاية فى وقت قريب .

بقى شىء هام . . هو تلك النغمة التى تتردد حاليا ، والتى تقول ان شبح الحرب قد اختفى نهائيا .

ان هذه النغمة ليست صادقة تماما ، وسياسة التنويم ليست فى صالح أحد ، ومن واجبنا أن نظل دائما على استعداد ، وأن نؤمن بأنه كلما زاد استعدادنا للمعركة كلما كان نصرنا فيها مؤكدا ، فليس أدعى الى غبطة العدو ، من أن يجد منا استكانة أو مهادنة ، أو أن توحى الينا هذه النغمة الكاذبة ، بأن كل شىء قد بات على ما يرام ، وأن الاستعداد لم يعد له مايبرره ، بعد أن زال خطر الحرب ، وانتقلت المعركة من ميدان كان معدا للقتال ، الى ميدان الديبلوماسية والمفاوضة .

والذين يقولون هذا يستندون الى أن العدالة الدولية تقتضى

ذلك ، ولكنهم يغفلون حقيقة هامة ، هى أن الأمر قد تحول الى مصالح دولية ومصالح استعمارية ولم يعدللعدالةالدوليةوجود ..

ولو أن هذه العدالة كانت باقية حقا ، لما سمحت هذهالعدالة برفض قبول الصين الشعبية وايطاليا عضوين فىهيئة الأممالمتحدة، فى الوقت الذى يسمح فيه للصين الوطنية وللدول الصغرى السائرة فى ركاب الاستعمار بعضوية هذه الهيئة ..

ولو كانت هذه العدالة موجودة فعلا ، لما جاز فى القــرن العشرين أن ينفى مكاريوس رجل الدين ، لأنه يعبر عن آمال شعب وآلام طائفة ، ولأن الاستعمار لا يريد أن يبقى فى بلاده نيحرك فى النفوس الدعوة للتحرر والاستقلال ..

بل انه ليس أدل على أن الأمر لم يعد يخرج مطلقا عن نطاق كونه مصالح استعمارية فحسب ، من أن ( الحلفاء الثلاثة ) فرنسا وانجلترا وأمريكا ، قد اصطدمت مصالحهم أكثر من مرة ، وفى مشكلة القناة تعارضت هذه المصالح وتشابكت ، فوقفت فرنسا وانجلترا خلف مصالحهما ووقفت أمريكا خلف مصالحها ..

وهكذا اختلفالشركاء . أو كمايقولون..اختلفاللصوص .. وباختلافهم ظهرت السرقة . . أو . . الخطة الفرنسية البريطانية الحمقاء !

# الفصل السادس

## المؤتمر السرى الذى صنع أزمة القناة!

يرى مسرح السياسة العالمية هذه الأيام حلقة جديدة من حلقات المشكلة التى أسموها بمشكلة قناة السويس ، فمجلس الأمن يعقد جلساته العلنية والسرية، ووزراء خارجية الدول الغربية يرددون الكلمات والتصريحات التى قيلت فى أكثر من مناسبة، والتى حفظها العالم عن ظهر قلب بمغالطاتها الواضحة ، وهم فى كلماتهم يحاولون محاولة جديدة ، تخلق هذا النوع الجديد من الاستعمار البغيض ، الاستعمار المشترك تحت ستار الكلمات الجوفاء ، لجنة دولية ، واشراف دولى ، وحقوق المنتفعين ، الى آخر تلك الألفاظ التى لا يعوزهم ايجاد مترادفات لها كل يوم .. ومصر لا زالت كما كانت منذ أممت القناة ، وقبل أن تؤمم القناة ، وبعد أن أممتها متمسكة بحقها الواضح ، وفى كل يوم تكسب معركة جديدة وينتقل الى حقوقها الكثير من سكان هذا العالم الذين قد تخدعهم تصريحات ايدن ومولييه بعض الحين ، ولكنهم لايلبثوا أن يجدوا الحقيقة الواضحة فى صوت مصر ، وفى صوت أصدقائها فى العالم..

ومجلس الأمن يستمر فى نظر ( القضية ) وتتردد خارج قاعاته الاشاعات والأقاويل، فتارة سيؤلف لجنة لمفاوضة مصر، وتارة أخرى سيتخذ قرارا بتدويل القناة وستستعمل روسيا حق الفيتو

للحيلولة دون اتخاذ قرار ما .. ولنترك المجلس فى مناقشاته ونعود الى الوراء لنبحث عن جذور هذه الخطوة الجديدة .. هـذه الجذور تمتد من نيويورك الى باريس والى قصر شايو بالذات..

ففى احدى قاعات القصر الواسعة امتدت مائدة كبيرة يوم ٥ سبتمبر الماضى .. وحول المائدة جلس بعض من الرجال تستطيع أن تعرف فيهم سلوين لويد وكريستيان بينو ووزيرين آخرين من وزراء خارجية الدول الغربية ... وغيرهم من مندوبى الدول الكبرى أو ذيولها . . كانوا ٢١ رجلا يمثلون ١٤ دولة . .

وفى الثالثة والنصف مساء عقد الاجتماع وكان أول المتحدثين سلوين لويد ، وهو أولهم دائما ... وكان الموضوع مشـكلة قناة السويس .. النوافذ مغلقة .. الصحفيون بعيدون جدا عن مكان الاجتماع .. كلمات سرى .. وخاص . منتشرة حول القاعة . الحديث يشبه الهمس .. وتحركت الألسنةالاستعمارية بعيدة عن آذان الصحافة .. بعيدة عن الدبلوماسية وقواعدها .. وبعيـدة عن رقابة الضمير . الغير العالمى الذى مات . مات منذ زمن بعيد ..

انها جلسة رائعة يجب أن يلم بها العالم .. وأن يعرفها الأحرار فى كل مكان ..

فى قصر شايو ... وفى الساعة ٣٫٣٠ مساء من يوم ٥ سبتمبر اجتمع مجلس حلف شمال الأطلنطى ... وحضره مندوبو ألمانيـا وبلجيكا وكندا والدانمرك والولايات المتحدة وفرنسا واليونان وايطاليا ولكسمبرج والمملكة المتحدة وتركيا .. وكان أول المتحدثين كما قلنا سلوين لويد ، الذى صرح بأنه يود أن يقدم تقريرا لمجلس

حلف الأطلنطى عن مؤتمر لندن الخاص بقناة السويس المنعقد بلندن خلال فترة النصف الثانى من شهر أغسطس لأنه لابد من اعطاء فرصة لكل أعضاء الحلف ، لتبادل وجهات النظر بحرية وصراحة فى مشكلات مثل أزمة قناة السويس لو أريد نجاح المشاورات التى تجرى بين الدول الأعضاء — بالروح التى توختها المادة الثانية من الميثاق — وأكد أنه لم يأت ليطلب من المجلس اتخاذ قرار يؤيد وجهات نظر الحكومتين البريطانية والفرنسية ، وهو ليس بحاجة الى التذكير بأهمية قناة السويس لا للملكة المتحدة وفرنسا والدول الغربية فحسب ، بل لكافة دول العالم تقريبا ، وما من شك فى أن هذه المشكلة لاتفرق بين أوربا وآسيا اذ تتخذ أهمية عالمية ، وللهند والباكستان وأندونيسيا مصالح ، تماما كتلك التى للغرب فى ضمان حرية استخدام القناة .

وفى نظر المملكة المتحدة أن أول جانب لهذه الأزمة ينحصر فى أن الاجراء الذى اتخذته مصر غير مشروع للأسباب الآتية :

• ألغى الامتياز الممنوح للشركة العالمية عام ١٨٨٨ دون انذار ، ودون مشاورة ، أو وضع خطة محددة للتعويض .

• ان شركة قناة السويس ليست مجرد شركة وطنية يمكن تأميمها وفقا للطرق العادية ، فهى منذ نشأتها كونت كشركة دولية ، وان كانت قد قيدت من الناحية الفنية فى مصر .

• تقوم الشركة بمقتضى معاهدة هى اتفاقية ١٨٨٨ ، ولذلك ترى حكومة المملكة المتحدة أن مثل هذه الشركة لا يمكن تأميمها دون اجراء المشاورات اللازمة ، فالاجراء الذى اتخذته مصر اذن

غير مشروع ومخالف للقانون .

وعرج المستر سلوين لويد بعد ذلك على النواحى السياسية للمشكلة ، فذكر التجربة المريرة التى عاناها أغلب أعضاء الدول الأعضاء الحاضرين ، بالمجلس من الاحداث التى تلت عام ١٩٣٠ ، وقال أن مصر الآن تخضع لحكم مطلق ، وقد كشف حاكمها عن نواياه فى حديث يبين فى جلاء مايضمره فى رأسه ، وهوجمع شمل الدول العربية وربطها بأفريقيا محررة من نفوذ الجنس الأبيض ، ثم انشاء نوع من دولة اسلامية شاملة ، وقد أثبتت الأعوام التى تلت عام ١٩٣٠ فى وضوح أن من الخطورة بمكان عدم الوقوف فى وجه التصرفات المطلقة ، والمملكة المتحدة مع اعتقادها أن الاجراءات التى اتخذتها مصر باطلة قانونا ، ويقلق بالها ماتنطوى عليه الحالة من أخطار تسعى قبل كل شيء الى تسوية سلمية معقولة للأزمة ، ولذا كان أول اجراء اتخذته بريطانيا وفرنسا بقصد الوصول الى حل سلمى ،هودعوة مؤتمر دولى ، ورأينامن بحث موضوع الدعوة الى المؤتمر ضرورة تحديد عدد الدول التى تشترك فيه ، وكان عسيرا أمر البت فيمن تدعى من الدول ومن تستبعد ، وأخيرا استقر الرأى على طريقة ( الثلاث ثمانيات ) أعنى الثمانى دول الموقعة على اتفاقية ١٨٨٨ ،والثمانى دول الأولى فى استخدام القناة، على أساس مقدار الحمولة والثمانى دول الأولى التى يعانى نظام التبادل فيها أكثر من غيرها ، لسبب قطع الملاحة فى القناة ، وكانت حكومة المملكة المتحدة تأمل فى أن تمثل مصر فى المؤتمر .

ولقد بدأ المؤتمر كما يعلم المجلس بداية طيبة ، وتبين أن

الاقتراح الذى قدمه ممثل الولايات المتحدة ، يصلح أساسا حسنا للمناقشات ، وأيدته المملكة المتحدة بحرارة ، حيث رأت أن هذا النظام المقترح ينطوى على مزايا لمصر ولمستخدمى القناة ، فضلا عن أنه يخدم الملاحة الدولية تحت اشراف دولى ، ووافق على اقتراح الولايات المتحدة أغلبية ساحقة ، وأقرت الهند وسيلان وأندونيسيا بأنه يجب أن يساهم مستخدمو القناة فى ادارتها ، وان كانت ترى أن اللجنة التى تمثل مستخدمى القناة ، يجب ألا تضطلع الا بدور استشارى فقط ، ولم يشذ عن هذا الاجماع الا ممثل الاتحاد السوفييتى على الرغم من أن الاتحاد سبق أن صرح فى عام ١٩٤٦ أن الطرق الملاحية الدولية مثل قناة السويس يجب أن توضع تحت رقابة دولية ، ويبدو أن السوفييت يستهدفون غرض الحيلولة دون قيام أى اتفاق بين الحكومة المصرية والأطراف الأخرى التى يعنيها الأمر، ويرى المستر سلوين لويد أن موقف الاتحاد السوفيتى ينطوى على أهمية بالنسبة لحلف الأطلنطى لأنه يبين بجلاء أن غرض السوفييت فى الوقت الراهن هو تجنب الحرب ولكن مع اثارة أقصى ما يمكن من الاضطرابات فى العالم ، وفى هذا الصدد يوافق المستر سلوين لويد موافقة تامة على الملاحظات التى أبداها المستر دالاس أخيرا عن المسيو شبيلوف ، وأخيرا حاز اقتراح الولايات المتحدة موافقة ١٨ صوتا من الـ ٢٢ صوتا المشتركة فى المؤتمر ، أى موافقة ١٨ دولة تمثل ٩٥٪ من مقدار الحمولات التى تعبر القناة .

واستطرد سلوين لويد يقول :

ولقد قرر المؤتمر أن تقوم لجنة بعرض الاقتراح الأمريكى على مصر ، حتى لايتطرق الى الذهن أن الأمر يتعلق بانذار نهائى ، وفى ذلك اثبات آخر على أن المؤتمر يرغب فى عدم المساس بشعور مصر وتأمل الحكومة البريطانية مخلصة أن تكلل مهمة المستر منزيس بالنجاح ، لأن المحافظة على قيام القناة بوظيفتها على نحو فعال أمر جوهرى وهام للدول الغربية وأيضا لأسيا كذلك .

وثمة سؤال يثـار الآن ، هو .. ماذا يمكن اجراؤه لو رفض البكباشى جمال عبد الناصر التفاوض . ؟

لقد قامت الحكومة البريطانية ــ كما يعلم المجلس ــ باعدادات عسكرية ، وهنالك فى مصر ١٣٠٠٠ شخص من رعايا بريطانيا وعدد كبير من السفن البريطانية تستخدم القناة ، وهنالك كذلك كثير من أصحاب الأعمال البريطانيين لهم مكاتب ومخازن، ازاء هذه الظروف لايسع أية حكومة الا أن تفعل ذلك ، فان الحكومة البريطانية تنفر من فكرة الالتجاء الى القوة ، وترجو قبل كل شىء الوصول الى حل سلمى ، وثمة سؤال آخر يتعلق بالجزاءات الاقتصادية المحتملة فيما اذا كانت مصر لن تعدل عن اجراءاتها غير المشروعة وهنا تجد هيئة الأمم المتحدة دورها الذى تقوم به .

وفى النهاية سأل المستر سلوين لويد المجلس عمـا اذا كان يعتقد حقيقة أن القناة ستمضى فى تأدية وظيفتها على نحو فعـال تحت ادارة مصرية بحتة ، وقال ان الحكومة البريطانية ترى العكس وألح على الأعضاء الآخرين بالمجلس ألا يغضوا من شأن أهمية المشكلة ، وكرر مرة أخرى أنه قدم الى باريس ليستطلع رأى

زملائه ولكى يطلب اليهم أن يلتزموا بالتزام ما .

أما مسيو سباك ممثل بلجيكا ، فقد قال انه أدرك الأسباب التى دعت الى عدم دعوة بلجيكا لحضور مؤتمر لندن ، ورأى النظام الذى بمقتضاه اختيرت بعض الدول معقولا ، ولما كانت بلجيكا لم تشترك فى المؤتمر ، فقد رغب مسيو سباك أن يعرب عن آرائه هنا ورأى أولا أن يشكر المستر سلوين لويد لتقديمه تقريرا للمجلس عن المؤتمر ، تقريرا أتاح لأعضاء حلف الأطلنطى فرصة التشاور فى هذا الاجتماع ، ثم أعرب عن أسفه لأن هذا الاجتماع لم يعد مبكرا عن ذلك التاريخ ، اذ أنه رأى حين اتخذ الرئيس جمال عبد الناصر قراره المعـروف أن الأمر يستدعى عقـد اجتماع لمجلس حلف الأطلنطى ، والآن حين تبحث لجنة الوزراء الثلاثة من بين ما تبحث كيفية تحسين طريقة التشاور السياسى بين أعضاء الحلف ، تبدو أشد وضوحا دواعى الأسف على أن المجلس لم ينعقد لمناقشة أزمة وصفها السير أنتونى ايدن بأنها أخطر الأحداث التى طرأت منـذ عام ١٩٤٥ .

واستطرد مسيو سباك يقول :

ولقد أبان المستر سلوين لويد هدف هذا الاجتماع وهو القيام ببحث صريح لما حدث ، وما قد يحدث دون محاولة اتخاذ قرارات معينة ، وأبدى مسيو سباك موافقة تامة على هذه الطريقة ، وقال ان الحالة خطيرة كما رآها المستر سلوين لويد ، وفى رأيه أن النقطة الهامة لا تنحصر فى البت على أساس قانونى فيما اذا كان الرئيس عبد الناصر على حق أم لا فى تأميم القناة ، وانما المسألة

الهامة تنحصر فى تعيين ماذا كانت الحكومة المصرية قد خالفت معاهدة دولية أم لا ؟ وأجاب المسيو سباك على هذا السؤال بالايجاب ، وقال انه تواجهنا فى هذه الحالة حقيقة خطيرة للغاية ، اذ يتعين على حكومات دول حلف الأطلنطى أن تقرر ما اذا كان فى وسعها أن تترك مثل هذه المخالفة تمر دون رد فعل ؟ ثم أعرب المسيو سباك عن رأيه فى أن التعايش السلمى يستحيل تحقيقه فى العالم اذا كان فى الوسع انتهاك المعاهدات الدولية بمثل هذا الاستهتار ، فاذا كان المجلس يوافقه على أن الأمر ينطوى على انتهاك معاهدة دولية ، فلا بد أن يبحث الحلف الاجراءات التى ينبغى أن تتخذ .

وقال : ان عقد مؤتمر لندن عمل مجد كمرحلة أولى، ولكن ماذا يكون الحال لو رفض الرئيس جمال عبد الناصر التفاوض أو اتخذ وسائل ملتوية عن عمد ؟

ويجيب المسيو سباك عن ذلك فيقول انه لا يجب على حكومات حلف الأطلنطى ألا تأخذ بأنها ازاء الأمر الواقع ، بل يجب أن تفكر فى اتخاذ الاجراءات الآتية :

• أن تقرر الدول عدم دفع رسوم المرور للهيئة المصرية الجديدة ، طالما أن المسألة لم تنته الى حل .

• لو استتبع هذا الرفض وقوع أحداث فان السلام يكون فى خطر حقيقى ، وفى هذه المرحلة يجب عرض القضية على مجلس الأمن.

• يستحيل فى الآونة الراهنة التكهن أو محاولة التنبؤ بما يمكن اجراؤه فى حالة ما اذا كانت مناقشات مجلس الأمن لن تفضى الى أى حل .

وقال انه لو سارت حكومات الدول الغربية فى مراحل على هذا النحو ، لأمكن الاحتفاظ بأمل الوصول الى حل مقبول .

وألح مسيو سباك قبل كل شىء فى وجوب التصدى لانتهاك معاهدة دولية، وقال انه لايؤيد بحال من الأحوال سياسة الاعتراف بالأمر الواقع .

وتحدث بعد ذلك المسيو برجى ممثل تركيا ، فقال ان حكومته كانت ممثلة فى مؤتمر لندن ، وأيدت تأييدا تاما اقتراح الولايات المتحدة ، وشكر للمسيو سباك اعرابه عن آراء الحكومة البلجيكية، وقال أنه يعتقد أن مؤتمر لندن قد بذل كل جهد باخلاص ، لحسم الخلاف البالغ الخطورة ، وبوسائل سلمية ، وقد حقق هذا نتائج مرضية حيث أن ١٨ دولة قد اتفقت على نص يصون حقوق مصر ومكانتها مع حماية مستخدمى القناة .

واستطرد مسيو برجى يقول : انه فيما يتعلق بالمستقبل فهو يوافق المسيو سباك فى أنه لابد من السير على مراحل، أولاها هى اتصال لجنة منزيس بالرئيس جمال عبد الناصر ، وهى خطوة أولى حالفها التوفيق ، وقال ان الحكومة التركية تثق كل الثقة باللجنة ، ولكنها ترى من السداد أن تمسك الآن عن مساندة عمل اللجنة بتصريحات مماثلة اذ أن مثل هذه التصريحات قد يستغلها الروس وبلدان أخرى فى توسيع شقة الخلاف الكبير بين الغرب والشرق الأوسط ، وقال انه يقر المسيو سباك على وجوب تصدى دول حلف الأطلنطى لخرق المعاهدات الدولية ، كما يجب التصدى للدعاية الروسية حين تقول ان بعض الدول الغربية متأهبة للالتجاء

الى القوة لتسوية الخلاف ، اذ أن هذه الاعدادات العسكرية هى التى تجعل التفاوض مع مصر أمرا مستحيلا ، فينبغى تفويت غرض هذه الدعاية على أصحابها بايضاح الأسباب التى من أجلها رؤى أن هذه الاعدادات العسكرية ضرورية .

ولم يكن لدى المسيو هلشتين ممثل ألمانيا شىء هام يضيفه الى ما تقدم ، فموقف حكومته قد أعرب عنه فى لندن ممثل ألمانيا معززا بالأسباب اذ يجب أن يكفل لكافة الدول حرية عبور القناة ، وأن يؤكد ذلك بالنظم الملائمة ، ويرى المسيو هلشتين ان المسألة تتعلق بالصالح المشترك ، وانه لذلك لابد من تضامن دول حلف الأطلنطى ، ثم أبدى غبطته لأن المملكة المتحدة اقترحت عقد هذا الاجتماع ، لأن حكومته شديدة الرغبة فى أن ترى مجلس الحلف أداة فعالة للتشاور السياسى .

وأما مسيو بينو ممثل فرنسا فقد قال : ان البيان الذى ألقاه المستر سلوين لويد عن مؤتمر لندن واضح ، ويوافق المسيو سباك فى أنه من العبث أن تبحث لجنة الوزراء الثلاثة كيفية تدعيم الحلف اذا كانت لم تجر فى المجلس مشاورات عن موضوع هام جدا مثل مسألة قناة السويس ، وأفاض فيما يتعلق بالناحية السياسية للمسألة فى أن الكتاب الحديث الذى كشف فيه جمال عبد الناصر عن نواياه لايمكن اعتباره هفوة من هفوات الشباب ففى اعتقاده أن عبد الناصر ، يزمع انتهاج السياسة التى حددها ، ومن العسير التفاوض معه لأن هذه المفاوضات تثير مسألة الثقة ، فلو أن المفاوضين أقل ثقة فى جمال عبد الناصر لغدت مهمتهم عسيرة .

واستطرد بينو فحاول أن يؤكد أنه على صواب عندما يشبه الرئيس جمال عبد الناصر بهتلر ، وأضاف يقول الا أننى أجـد عنصرا جديدا فى أفكار عبد الناصر ، اذ لا تقتصر سياسته على فكرة عنصرية فحسب،وانما يمزجها بجديد من العناصر ،فيرتكزعلى الحركة الوطنية القائمة فى آسيا وافريقيا .

وفرنسا تدرك تماما رغبة الشعوب الأسيوية ، والافريقية فى الاستقلال ، بيد أن هذه الشعوب تجنح الى الخلط بين الاستقلال ومناهضة الاستعمار ، وتستمد حججها ممـا يسمونه مناهضة الاستعمار ليزعموا أنهم محقون فى انتهـاك المعاهدات الدولية ، والأمثلة التى من هذا القبيل لا تنحصر فقط فى تأميم عبد الناصر للقناة فقط ، بل ثمة أيضا امتناع أندونيسيا عن الوفاء بديونها قبل هولندا ، ولا يمكن التغاضى عن أعمال من هذا القبيل لأن ذلك يفضى الى امتهان القانون كلية .

وتناول مسيو بينو بعد ذلك موضوع الاعدادات العسكرية التى قامت بها المملكة المتحدة وفرنسا ، فقال انالسبب الذى حدا بفرنسا الى اتخاذ بعض الاحتياطات العسكرية فى غاية البساطة ، هو أن فرنسا رأت ازاء الخطاب المتوقد الذى ألقاه عبد الناصر ، أن أمن رعاياها بمصر قد بات مهددا سيما موظفى شركة القناة القديمة ، اذ أنذرتهم السلطات المصرية بوجوب البقاء فى مراكزهم والا سجنوا ، وقامت المملكة المتحدة وفرنسا — على عكس ما قيل — بكل مايمكن لاقناع المرشدين بالبقاء فى مراكزهم ، وذلك رغم ابداء عدد كبير منهم الرغبة فى مغادرة البلاد ، بيد أن هذه الحالة

لايمكن أن تدوم ، فقد ينتهى الأمر بالمرشدين أن يقرروا معادرة القنال ، ولا يسع فرنسا أن تترك مصر تمنع المرشدين من الرحيل أو تسجنهم ، هذا واذا قررت بعض الدول عدم دفع رسوم العبور لهيئة القناة الجديدة ، كما اقترح المسيو سباك فى حالة رفض عبد الناصر التفاوض ، فستقع احداث مافى ذلك شك ، وحينئذ تكون الاستعدادات الحربية لاغنى عنها لو أريد مواجهة هذه الأحداث .

واستطرد يقول : ومع ذلك فاننى أقرر أن فرنسا لاترغب اطلاقا فى استخدام القوة ، وانما ترغب فقط فى أن تكون على أهبة الاستعداد فيما اذا اضطرت الى استخدامها آخر الأمر .

واعتقد أن حلف الأطلنطى لم يكن على صواب،اذ يعتبر أن استخدام القوة أمر سيىء فى كل الأحوال ، فقد تصل فى بعض الأحيان الى وضع لا يتسنى فيه حل خلاف ذلك . وهناك سابقتان لا يجب أن تغيبا عن بالنا :

• حرب كوريا . . حقيقة أن هذه الحرب أودت بحياة الكثير من بنى الانسان ، وجلبت خسائر بالغة ، ولكن ما الذى كان يحدث لو أن الرئيس ترومان لم يتخذ هذه الخطوة ، واستعان بهيئة الأمم المتحدة ؟ كانت تقوم اذن بعد ذلك بسنوات حرب أوسع مدى بكثير وأشد تدميرا . .

• احتلال ألمانيا لمنطقة الرين عام ١٩٣٦ .. اذ يبدو أنه لو استخدمت القوة حينذاك لكانت النتيجة حتما بعض الخسائر فى

الأرواح ، ولكن ربما كان ممكنا تفادى أهوال الحرب الثانيـة المريعـة .

واستطرد مسيو بينو يقول : انه من العسير على ساسة لكل منهم مشاكله الداخلية ، أن يقرروا اللجوء الى القوة اذ يعرضون أنفسهم دائما لتهمة خلق الحرب ، بيد أن ثمة أوقات يكون اللجوء فيها الى القوة هو السبيل الوحيد لصيانة السلام ، ومن آجل ذلك تعتقد الحكومة الفرنسية أنه يجب تضافر كل الجهود لحـل أزمة قناة السويس بالطرق السلمية ، على أن تكون الدول على أهبـة الاستعداد للالتجاء الى القوة آخر المطاف .

وتكلم بعد ذلك المستر بيرسن ممثل كندا ، فأعرب عن اغتباطه لأن هذا الاجتماع قد اقترن بما يمكن أن يسمى وجها من وجوه نشاط الحلف غير العسكرى « أى تعزيز المشاورات السياسية » ، وقال أنه مما أسعده أيضا ما استمع اليه من المستر سلوين لويد وما أدلى به ممثلو الدول التى اشتركت فى مؤتمر لنـدن بشأن القناة ، من ملاحظات . وقال : ان بلاده لم تحضر مؤتمر لنـدن ، لكنه لا يشعر بأية غضاضة فى هذا الصدد ، ويؤمن بوجاهة القاعدة التى وجهت على أساسها الدعوة لحضور مؤتمر لندن .

وقال ان حكومته تدرك تماما أهمية قضية قناة السويس ، أو محاولات عبد الناصر لوضع طريق ملاحى دولى تحت رقابة قومية .

ولا تقلل الحكومة الكندية كذلك من خطورة الحالة وبخاصة بالنسبة لبلدان فرنسا ، والمملكة المتحدة،فالأمر متعلق بكفالةادارة

فعالة للقناة بمنأى عن التحيز والسياسة ، وقد تلقت حكومة كندا بترحاب الاقتراح الذى وافقت عليه ١٨ عضوا من الدول أعضاء المؤتمر ومنحته تأييدها ، ويسعدها أن يكون جمال عبد الناصر مهيأ للمناقشة ، وهذا لا يمنع من القول بأنه لا تزال هناك صعاب عديدة يجب التغلب عليها . وقال المستر بيرسن ، ان الطريقة التى انتهجتها اللجنة الخماسية التى تعمل باسم الدول التى وافقت على مشروع لندن تدل فى وضوح على أنه لا يراد وضع عبد الناصر بازاء انذار نهائى ، اذ أن مايجب على اللجنة هو مجرد التحقق من موقف عبد الناصر حيال المشروع فى مفاوضات بشأن هذا الموضوع .

وقال المستر بيرسن كذلك ، انه يعتقد أن الاقتراح الذى وافقت عليه الدول الثمانى عشرة معقول ومقنع لأنه يحترم سيادة مصر ومصالحها، وشعورها، مع حفظ وصيانة الصفة الدولية للقناة، وذلك عن طريق نظام تعاون دولى تشترك فيه الأمم المتحدة على نحو ملائم .

وتنحصر الصعوبة الكبرى فى البت فيما ينبغى اجراؤه ، لو أصيبت محادثات القاهرة بالفشل ، أو انتهت دون الوصول الى حل ما ، وقال المستر بيرسن، أنه يرى وجوب استبعاد استخدام القوة الا فى نهاية الأمر ، وحتى فى هذه الحالة لا ينبغى استخدام القوة الا مع احترام المبادىء ، والقواعد المقررة، سواء فى ميثاق هيئة الأمم أو ميثاق الأطلنطى ، ولكن اذا استبعد استخدام القوة فأى اجراء سياسى يمكن اتخاذه ؟ الاستعانة بهيئة الأمم وبأية كيفية ؟ لو أمكن الحصول على أغلبية فى مجلس الأمن لصالح مقترحات الدول الثمانى عشرة ، فان ذلك يكون فيما يبدو سندا مكينا لاجراء

مفاوضات جديدة،أو اتخاذ اجراءات مستقبلة ، ويمكن كذلك النظر فى اتخاذ اجراءات اقتصادية ، ولكن يجب ألا يرتد كل اجراء من هذا القبيل ضد الدول التى تقرره . .

وقد أبدى المسيو سباك اقتراحه الهام الخاص بعدم قبول وضع التأميم المصرى بمثابة الأمر الواقع،اذ يجب رفض دفع أى شىء للمصريين فى المبدأ والتنفيذ .

وقال :

وأخيرا ماذا يحدث لو توقفت عن العمل على نحو فعال قبل التوصل الى حل ، أو اذا منع موظفو القناة غير المصريين من مغادرة مراكزهم وفقا لرغباتهم ، اننى لا أستطيع أن أقترح أى جواب لهذا السؤال ، ولكن يسعدنى أن الحكومات التى يعنيها الأمر عن كثب تسعى الى تسوية ذلك ، وهى تشعر بمسئولياتها فى المجالين القومى والدولى معا،والحكومة الكندية،لذلك ستمنحها تأييدها فى مساعيها السياسية ، والديبلوماسية للوصول الى حل دولى يراعى فيه كما ينبغى أهمية قناة السويس بالنسبة لها ، ولكافة الدول الأخرى .

وأعقب ذلك ، وقوف المستر سلوين لويد ، ليوجه شكره الى الوزراء الذين أدلوا بتصريحاتهم عن بلادهم ، ولم يجب الا على نقطة واحدة من هذه التصريحات ، فقد رأى المسيو سباك أنه كان من المستحسن لو أن هذا الاجتماع قد عقد مبكرا عن هذا التاريخ، وقال أنه يمكن أن يقال الكثير فى تأييد هذا الرأى، بيد أن الحكومة البريطانية كانت فى بداية الأمر شديدة الرغبة فى ألا يقع فى روع أحد، أن الغرب بسبيل تكوين جبهة ضد البلدان غير الغربية، ولا مراء

فى أن الحكومة البريطانية ستراعى الآراء التى أعرب عنها ، وهى تدرك تماما مسئولياتها وهدفها الرئيسى ، وهو أن تحافظ على قيام القناة بوظيفتها . وقال أنه كما لاحظ مسيو بينو ، كانت فرنسا وانجلترا هدفا لانتقادات لامبرر لها اطلاقا بشأن مرشدى القناة ، اذ الواقع أن هاتين الدولتين قد بذلتا مافى وسعهما لكى يبقى المرشدون فى مراكزهم ، فأزمةالقناة ذات أهميةحيوية،اذأن توقف الملاحة فيها سيكون وخيم العاقبة على اقتصاد البلاد الغربية،وقد اقترح أن نسلك طرقا جديدة بناقلات بترول أكبر ، الاأنمثل هذا الاجراء يتكلف نفقات باهظة ، وغلق القناة يؤدى الى انخفاض كبير فى مستوى المعيشة بالدول الغربية وغيرها ، وقال أنه يرى تبصير الرأى العام العالمى بذلك ، وقد دق ناقوس الخطر ، وينبغى المضى فى هذا الاتجاه ، وطبيعى أن المجلس سيحاط علما كما ينبغى بتطورات الحالة ، وأؤكد أخيرا للمجلس أن الحكومة البريطانية تنظر فى الأمر بيقظة وهى تعى مسئولياتها .

وأعقب ذلك تبادل الآراء فيما ينبغى نشرد عن الاجتماع ، وتقرر أن تبلغ الصحف فقط،أن المجلس طبقا لخطته المعتادة قد استمع الى بيان ألقاه المستر سلوين لويد رئيس مؤتمر لندن بشأن قناة السويس عن المناقشات التى دارت فى هذا المؤتمر،حيث تبين أن الأمر يستلزم على الأخص رسم صورة كاملة للحالة لصالح بلدان حلف الأطلنطى التى لم تكن ممثلة فى مؤتمر لندن .

ورؤى أن تبلغ الصحف أيضا ، أن وزراء خارجية أربع دول أخرى فى حلف الأطلنطى قد حضروا الاجتماع .

وشكر المجلس المستر سلوين لويد على بيانه الواضح الموضوعى الذى ألقاه عن أعمال مؤتمر لندن ، وأحيط المجلس علما بعد ذلك بكل الملاحظات التى أبداها بعض وزراء آخرين أثناء المناقشات .

وبعد ؟ ان الذى يحدث اليوم، والذى حدث منذ أن أعلنت مصر قرار التأميم ، ليس شيئا جديدا بالنسبة للغرب ، ولا بالنسبة للدول المكافحة الناهضة .

ان الغرب الذى يقف اليوم أمام القومية العربية يحاول جاهدا أن يفتتها هو الغرب الذى تجمع وتكتل أمام الثورة الروسية وأمام ثورة عرابى عندما اتحدت الدول الغربية فحشدت أساطيلها وهددت بالقوة . لم تعد المسألة اذن مشكلة قناة السويس بل لقد اتسعت فى نظر الدول الغربية .وصارت القومية العربية .. التى يحاولون جاهدين أن ينالوا منها ومن أجل الوصول الى هدفهم سافر السيد دالاس شقيق وزير خارجية الولايات المتحدة الى ايران .. والمستر دالاس قطب من أقطاب المخابرات الأمريكية واشتهر عنه أنه بطل من أبطال الانقلابات .. ودالاس فى ايران اليوم يحاول أن يحرك الخيوط فى الظلام فى عواصم الدول العربية واختياره ايران بالذات لأنها أقرب الدول غير العربية الى مصر والى شقيقاتها .. ولكن هيهات .. انهم يستعملون نفس الوسائل التى نجحت معهم فى ايران ولكنهم نسوا أن مصر غير ايران .. ظروفها الداخلية .. شعبها .. قادتها كلها تختلف عن ايران تمام الاختلاف . أن النجاح الذى حققوه فى ايران لن ينالوا شيئا منه فى مصر ، ولا فى أية دولة عربية.

ونصيحة للغرب كان فى استطاعتهم أن يظفروا بصداقة جمال

عبد الناصر، وعندئذ يكون لهم صديق قوى يؤيده شعب حر ناهض.. أليس ذلك أجدى بكثير من صداقة زعيم بدون شعب .. أليس ذلك أصلح لهم من صداقة نورى السعيد الذى يجلس فوق فوهة البركان .

ان مصر قادة وشعبا قد رسموا غاية يسعون الى تحقيقها ولن يوقفهم قبل الوصول اليها مؤامرات ولا مناورات . . هذه الغاية هى النهوض بمصر وتقوية القومية العربية ورفع مستواها من كل الجهات . . .

حتى تصبح فى الشرق قوة لا تهدد بالحرب ولكنها تحفظ السلام .

# الفصل السابع

## مؤامرة للقضاء على القومية العربية

هذه المؤامرات التى اتخذت لها ميـدانا فسيحا « الدول العربية » الناهضة ، ليست غريبة على من يتتبع وسائل الاستعمار ويكشف طرقه المعادة المكررة ، كان طبيعيا ذلك الذى حدث .. كان متوقعا أن تسلك الدول الغربية هذا المسلك الذى سبق أن طرقه الاستعمار مرات عدة وسجل فيه نجاحا كبيرا .

ان تلك المؤامرات التى كشفت عنها الصحف أخيرا ، والتى أحاطت بقصة محاولة الجيش العراقى دخول الأردن الشقيق وما أذيع عن استئذان اسرائيل قبل السماح بتحرك قوات هذا الجيش هذه المؤامرة ليست الأولى ولا هى الأخيرة التى قام بها وكلاء الدول الاستعمارية واتخذت من منطقة الشرق الأوسط حقلها الواسع ..

لم تعد المشكلة التى تواجه ساسة الغرب هى مسألة قنـاة السويس فهم يعلمون جيدا ومنذ اللحظة الأولى أن القناة فى يد مصر . . وأن السفن تسير فى حرية وأمن وأنها لن تخرج من يد المصريين الا فوق جثث الملايين .

ان المشكلة الآن مشكلة القومية العربية .. مشكلة هذا البعث الجبار الذى انتظم العرب جميعا والذى بات الخطر الأول الذى

يتهدد مطامع الاستعمار فى الشرق والذى يهدد قبل هـذا وذاك ربيبتهم اسرائيل •

اذن فليكن النشاط موجها الى هذه القومية العربية ، ليكن اتحاد العرب هو الهدف ولتكن التفرقة بينهم هى الغاية الوحيدة .. ولتكن المؤامرات ..

ان بين يدى الآن قصة مؤامرتين من أبشع ما وصل اليه عقل الاستعمار ولا أجد مناصا من أن أضع القصة بأكملها أمام الرأى العام العربى وأمام الأحرار فى جميع أنحاء العـالم وأن أقول فى النهاية وأنا واثق من الصدى المتجاوب مع كلمتى أن أقول للعرب احذروا ... وتنبهوا جيدا الى ما يراد بكم ..

المـؤامرة الأولى كان ميدانهـا الأردن . . وصـاحب فكرتهـا سـفير بريطانيـا فى عمـان . . والمؤامرة تتلخص فى اقتراح يعـرض على الأردن وهـذا الاقتراح هو أنه فى حالة قيام عمليات حربية ضد مصر تحجم الأردن عن كل تدخل وفى مقابل ذلك تجعل انجلترا قواعدها العسكرية فى الأردن محايدة « أى لا تستعملها ضد مصر » كما أنها لا تقوم بتعزيز القوات فيها كما تتعهد فضلا عن ذلك بالدفاع عن الأردن فى حالة وقوع عدوان اسرائيلى على حدودها .

وربما يكون هذا الاقتراح كمايبدو من ابتكار عقلية عسكرية، ولا يستبعد أن يكون قد نشأ بعد زيارة قائد القوات الجـوية البريطانية للقواعد فى الأردن .

ولست بحاجة الى أن أضع النقط فوق الحروف ، فالاقتراح

واضح تماما ويمكن تلخيصه فى النقط الآتية :

- يقف الأردن محايدا فى حالة الاعتداء على مصر .
- فى مقابل ذلك لا تستعمل القواعـد البريطانية الموجودة بالأردن ضد مصر محافظة على سمعة الأردن بين الدول العربية .
- تقوم القوات البريطانية بمساعدة الأردن ضد اسرائيل .

وفشلت هـذه المؤامرة كما فشلت كل مؤامرة سابقة وكما ستفشل كل مؤامرة لاحقة،فشلت لأن العرب تنبهوا ولأن الشعب الأردنى الواعى أصبح يعرف كيف يحطم المؤامرات .

تلك واحدة اما الثانية فكانت من ابتكار عقلية أخرى لا تقل مرضا عن العقلية البريطانية تلك هى عقلية العدو السابق للعرب وحليف اليوم عقلية الرجل المريض بالأمس والمريض اليوم . . تركيا . . وتتلخص هذه المؤامرة فيما يلى :

أن يوضع جمال عبد الناصر فى وضع سىء أمام الرأى العام العربى وذلك باختلاق احداث على الحدود الاسرائيلية تؤدى هذه الأحداث الى تدخل عسكرى مصرى ولما كانت مصر « فى نظـر تركيا » تخشى القيام بعمل مشترك بين اسرائيل والقوات العسكرية المرابطة فى قبرص فان هذا الخوف سيؤدى الى أن تتخلى مصر عن مسئوليتها وتبقى العراق وحدها لتتلقف هذا التحدى .

وبذلك يمكن تحويل زعامة العرب من مصر الى العراق ولست بحاجة الى القول بأن العراق صاحبة حلف بغداد يمكنها أن تفعل بما يقول به السادة . . سادة نورى السعيد والى هنا ينتهى الشق الأول من الاقتراح الذى تفتقت عنه العقلية التركية ولكن صاحب

الاقتراح وجد فى شقه الأول فقرات حاول أن يملأها ، أول هذه الثغرات هى اسرائيل نفسها . . اسرائيل تعرف تماما دول الغـرب وتعرف قدر ما يتمتع به ساسة الغرب من شرف وأمانة . . ما الذى يثبت لها أنهم سوف لا يتخلون عنها أو ما الذى يثبت لها أن مصر لن تتدخل ؟؟

اذن فان اسرائيل ترى أن تعطى فرنسا وبريطانيا المثل وأن تبدأ بالعدوان لتشغل مصر ، وعلى ذلك يجب أن تستعمل الدولتان القوات العسكرية المحتشدة فى قبرص . أو أن تكون اسرائيل محل اعتداء أو تهديد باعتداء من الدول العربية ويمكن استعمال العـراق فى هذا الأمر . أى أن يأتى الاعتداء من جانب العراق مبتدئة من الأردن وهنا يكون الطريق كما يلى ، تتحرك القـوات العراقية فتدخل الأردن وتقوم اسرائيل بالاعتداء على الحدود الأردنيـة « بناء على اتفاق سابق بين اسرائيل والعراق عن طريق حلفـاء الجانبين » .

وتهب الجيوش العراقية الموجودة فى الأردن لصـد عدوان اسرائيل « وهنا تكسب العراق تأييد الرأى العـام العربى لموقف البطولة الزائف » وتتظاهر الدولتان بأنهما تحاربان وفى الواقع تسعيان للسلام .. ثم يتم هذا السلام ومصر بعيدة يتم على حساب نفوذها وكرامتها وهذه المؤامرة كسابقتها تماما ليست فى حاجة الى ايضاح .

• اختلاق حرب وهمية بين العراق واسرائيل ، تنتهى بالصلح الذى يذل مصر وينال من كرامتها .

• أن تشغل مصر فى ذلك الوقت بعمليات حربية تقوم بها القوات الانجليزية الفرنسية المرابطة فى قبرص .

وتحطم الاقتراح الأخير وفشلت المؤامرة وكان السبب الوحيد فى هذه الحلقات المتتابعة من الفشل الذريع هو وعى الأمة العربية عامة وشعب الأردن خاصة .

فليعلم العرب أن طبيعة الاستعمار مازالت مليئة بالمؤامرات . والوعى وحده هو القادر على تحطيم كل هذه النوايا السيئة . . وليعلم الاستعمار أن العرب اليوم غيرهم بالأمس واذا كانت قد انطلت عليهم هذه المؤامرات بالأمس فأمامهم اليوم شعوب قوية تعرف كيف تحارب فى العلن والخفاء . . وتعرف كيف تحطم المؤامرات لتعزز كيانها وتفرض القومية العربية حقيقة واضحة أمام العالم أجمع . . .

# الجزء الثاني

بعد هزيمة الاستعمار في بور سعيد

# الفصل الثامن

## بور سعيد بداية المعركة

لقد تقدمت البشرية مافى ذلك من شك ، تفتحت عقول الناس وقويت قلوبهم وأصبحت ضمائرهم قادرة تماما على أن تكشف عن مشاعرها وأحساساتها دون أن تخشى شيئا ودون أن ترهب قوة ..

لم يعد فى العالم اليوم شىء اسمه القوة وشىء اسمه الضعف . لقد ظهر واضحا أن الصراع يدور الآن على مسرح العالم بين الحق والباطل .. بين الخير والشر . .

كانت القوة قديما هى القانون .. وهى الحق .. وهى النصر فى النهاية .. وكان الضعف هو الباطل . . وهو الهزيمة ... وعاش الناس يرون كل يوم مأساة ترتكبها القوة ويخر أمامها الضعاف سجدا راكعين ...

وكان النظارة من الشعوب الأخرى تصفق دائما للغالب وتهنىء المنتصر وتنسى أن تواسى الضعيف أو أن تترحم على الشهداء .

وزخر تاريخ الانسانية بقصص الجريمة والمجرمين وظهر بين الآدميين أناس تخضبت أفواههم بدماء الضحايا وامتلأت أمعاؤهم بأشلاء القتلى وسماهم السفاكون أبطالا وخلعوا عليهم مراتب الشرف وألوان التكريم ...

وحملت انجلترا وفرنسا راية الدم وشعار القوة ...

وانتشرت ذئابها البشرية تأكل فى أجساد الضعاف فى أفريقيا وآسيا وأمريكا واستراليا ... وزخر التاريخ فى كلتا الدولتين بصفحات سوداء حمراء .

وامتلأت ميادينهم بتماثيل القتلة والسفاحين .. وأخذت تتيه على الناس بقطيع متشرد من مصاصى الدماء وآكلى لحوم الانسانية ...

وحسبت بريطانيا وفرنسا أن الحياة قد دانت لهما ... وأن التاريخ سيقف عن تطوره وأن الشعوب قد استكانت وقد سلمت قيادها للمجرمين الى أبد الآبدين ..

لم تحاول عقول الانجليز أو الفرنسيين أن تتطور خلال السنين الطويلة ...

لم تحاول أن تقف لحظة واحدة لتسأل نفسها الى أين . . ؟ الى أين تسير ؟؟ والى أين يسير العالم ؟؟

لقد كشف العالم أنواع المغالطات التى حاول المجرم ايدن أن يعرضها على عقول الناس ..

لم يعد فى العالم من تنطلى عليه هذه الأكاذيب الحمقاء ..

لقد أرسل قواته وقوات تابعة موليه الى قناة السويس وبرر هذا العمل الوحشى بحجة واهية ضحكت لها الملايين فى سخرية واستهزاء ... لقد جعل المجرم من نفسه وصيا على العالم وحاميا للسلام فى جميع ربوعه .. فأرسل قواته لتحول بين الحرب التى اندلعت بين مصر واسرائيل ... وسخرت من ايدن صحافته هو

وشعبه وهو الشعب الذى ابتلى برئيس يدفعه دفعا الى الموت .. وتساءل الناس فى كل مكان كيف يكون استتباب الأمن بضرب المعتدى عليه ؟؟

وفهم ايدن أن لعبته لم تهضمها الجماهير فى العالم ... وبحث له عن مخرج جديد وفتش خلال ذهنه المريض ثم خرج على الناس ليقول :

ان الغرض هو حماية حرية الملاحة فى قناة السويس فقيل له لقد كانت الملاحة حرة فى القناة وكانت سفنك أنت تعبرها كل يوم دون أن تدفع ما عليهـا من أجور ... وطائراتك أنت هى التى أغلقت القناة وقضت على الملاحة فيها الى حين ...

وهرش الذكى رأسه ثم أخذ يبحث عن حل آخر ... وتذكر صيحة شعوب العرب فقال انها القومية العربية المارد العملاق الذى ان تركناه كبر وعظم شأنه ... وسخر العالم من المجرم المغالط وقالوا له فى ابتسام أن القومية العربية صارت حقيقة واضحة بعد اعتدائك الغادر الآثم .. انها كانت فى حاجة الى بوتقة تنصهر فيها لتخرج قوية متماسكة وأنت الذى قدمت البوتقة ...

ولم يكن من المعقول أن يصمت المجرم الآثم فقال:وقدظن أنه وجدها ... انها الشيوعية .. انها مؤامرة شيوعية لاشـعال نيران الحرب العالمية وكان الرد انك أنت الذى تحاول اشعال الحرب العالمية . .

وفرغت جعبة السياسى المجرم ولم يكن أمامه من حل سوى الصمت .. الصمت العميق . وسوى الفرار .. الفرار من المعركة !

لم يعد هنـــاك من باب غير باب المرض ... ولم يعـــد هنـــاك من مستشارين الا أطباء الأعصاب وأعلن أن ايدن قد أصيب بارهاق عصبى وأن أطباءه نصحوه بأن يخلد الى الراحة بضعة أيام ...

ومن الخطأ أن تعتقد انجلترا ، أن الشعب المصرى سوف يهال ويرتاح لنبأ مرض ايدن ، هذا النبأ الذى أذيع مع نبأ قيام بتلر بمهام رئيس الوزارة المريض ، فنحن نعلم أن بتلر من أبرز أعضاء حزب المحافظين وهو حامل أختام الملكة ، وهو لم يكن يجهل شيئا من دقائق المؤامرة ، فلما ظهر فشل نتيجتها ولم يثمر استخدام القوة كما كان يراد منه ، وعلى النقيض تكتل الرأى العام العالمى فى جانب مصر كان من الضرورى تغيير ايدن ببتلر .

ان المعركة لم تنته بعد ، ونحن نعلم هذا ونعلم أن هزيمة انجلترا فى بور سعيد هى بداية معركة طويلة المدى ، لقد منيت انجلترا فى الحرب العالمية الثانية بهزائم توالت عليها خلال سنوات ثلاث ، قبل أن تلجأ الى دول أخرى أكبر منها كى تساعدها وتشد أزرها . .

وأفلحت المعونة ، وانتصرت انجلترا ، ولم تلبث بعدها أن راحت تناصب هذه الدول العداء . . بينما كانت الاذاعة البريطانية فى ابان معارك الحرب العالمية الثانية تشيد ببسالة الجندى الروسى ، وكانت القوات الانجليزية تستخدم المعدات الحربية الأمريكية .. وظلت هكذا الى أن انتصرت .

ولكن الأمور قد تبدلت الآن .. وكما فشلت انجلترا فى بور سعيد نتيجة مجاراتها لنصائح لورد كيلرن الناصح الأمين لوزارة الخارجية الانجليزية ، هـــذه النصائح التى أخطأت انجلترا على

ضوئها فى تقديرها للموقف ، ستفشل أيضا فى كل خطوة تخطوها ، ما ظلت تركب رأسها وتحاول أن تصل الى أهدافها بنفس الوسائل الاستعمارية البالية ، التى خبرناها ، وعرفنا كيف تقضى عليها .

ان انجلترا تنتهى الآن ، بعد أن قضى ماقامت به على سمعتها لا كدولة من دول الدرجة الأولى فحسب ، بل ومن الثانية أيضا .. وسوف يمتد أثر هذا الفشل ، حتى يقضى على شعب اسرائيل بأكمله . . .

أما فرنسا ، فان تخبطها السياسى والعسكرى وحماقة سياسييها وما ترتكبه من مهازل فى كل مكان من العالم ، وما تتورط فيه بسذاجة مفضوحة فى المؤتمرات الدولية ، كلها أحداث ليس لها سوى نتيجة واحدة ... هو القضاء على فرنسا .. وتغيير شامل فيها . . فى قادتها . . وفى سياستها .

لقد خسرت بريطانيا الكثير ولم تفد شيئا ..

خسرت تجارتها التى كانت تمر عبر القناة .

وخسرت البترول

واختل بنيان حلف الأطلنطى وحلف بغداد .. والكومنولث ...

لقد أصابها كلها العطب من جراء قذائف ايدن المسمومة على شعب يناضل عن حريته . .

ماذا أفادت بريطانيا .. لقد خسرت اقتصاديا .. وخسرت سياسيا .. وخسرت الكثير من قواتها ومن عتادها .

أما مصر فقد أفادت ... وليست الفائدة بعائدة على مصر وحدها ... انها فائدة عمت كل الشعوب المتحررة فى العالم ...

لقد أظهـرت هـذه الهجمات الوحشية قوة الشعب المصرى وصلابته ، ولأول مرة فى تاريخه يكافح الشعب مع الجيش جنبا الى جنب .

وحدت هذه الأحداث القومية العربية الناهضة وهب العرب من المحيط الى الخليج فى صيحة واحدة وفى صوت واحد يلعنون الطغيان ويسيرون الى ساحة الشرف ...

لقد عملت انجلترا وفرنسا واسرائيل منفردة ، كى تظهر للحكومة الأمريكية المشـغولة بانتخابات الرئاسة بين ايزنهاور وستيفنسون أن انجلترا كفيلة اذا تزعمت قيادة فرنسا واسرائيل ، وعملت منفردة ، أن تحل مشاكل الشرق الأوسط فى ٤٨ ساعة ... وعلى أسوأ الفروض ... فى مدة لا تتجاوز أسبوعا واحدا . .

وبنت انجلترا هذا التقرير على أساس أنها خبيرة بمشاكل السياسة فى الشرق الأوسط ...

وبالتالى فهى أدرى بالطريقة التى يجب أن يعامل بها العرب ..

ولم تنجح انجلترا فيما هدفت اليه ، وانما حدث عكس ماكانت تتوقعه ، فقد فشلت ، وكشف هـذا الفشل نواياها أمام العرب وحليفتها السابقة أمريكا .. وكما اكتسبت بعملها احتقار العرب ، كسبت به عداوة أمريكا ...

وليس أدل على مدى الأثر السيىء الذى تركه هذا التصرف لدى أمريكا ، من رفض الرئيس أيزنهاور مقابلة ايدن أو موليبه .. ونقطة جديرة بالاهتمام ، تلك هى لهجة الانذار الروسى الذى وجهه بولجانين الى انجلترا ، باسم الاتحاد السوفيتى ، لقد كانت لهجة

الانذار توحى بأنه لا يصدر عن دولة الى أخرى فى مستواها . .

وكلمة أخيرة ... أن مصر تنتظر فقط وتترقب ولكنها قادرة فى كل وقت أن تدفع بهذه الشرذمة الفاشلة الى البحر عندما تريد . وسيأتى هذا اليوم حتما اذا استمر الشيطان مسيطرا على عقلياتهم المريضة وعندئذ سنغسلها بدمائهم ... ونعيد بناءها بأشلائهم .

لقد حاول الاستعمار وحاول ولم ينجح الى اليوم ...

لقد حاول أن يفرق بيننا فزادنا استمساكا ...

لقد حاول أن يخدعنا فكنا له بالمرصاد ... لقد ولد فى جسد الأمة العربية دملا دمويا كريها لا يلبث أن يخرج الصديد ... ولكن العرب يعلمون تماما كيف يستأصلون هذا الدمل الحقير من جسد الأمة العربية الطاهرة ...

لن ينجح الاستعمار ...

ولن تبقى اسرائيل ...

وسيعود السلام الى هذه المنطقة من العالم يرفرف على أمة عربية مسالمة ... رغم ارادة المجرم ايدن والحقير موليه ...

# الفصل التاسع

## اضواء على المعركة

انتهت المغامرة الجنونية التى قامت بها بريطانيا وفرنسا الى النهاية المتوقعة لمن يحاول أن يتلاعب بحرية الشعوب .

وأعلنت بريطانيا بلسان وزير ماليتها أنها قد أفلست تمـــاما نتيجة للمؤامرة الجنونية وسجدت بريطانيا للولايات المتحدة وهى تعلن لها عجزها عن رد ديونها وتطالبها بأن تعفيها من فائدة هذه الديون ...

وعند ما بدأ ايدن عدوانه الاجرامى على مصر كان يتصور أنه سيفرق بين شعب مصر وسيصل الى أغراضه فى القضاء على شعبية الرئيس جمال عبد الناصر ... ولكن الذى حدث كان عكس ما تمناه ايدن تماما .. حدث الشقاق فعلا ولكن فى بريطانيا نفسها وليس فى مصر ... بل وقعت التفرقة بين أعضاء حزب المحافظين أنفسهم فانقسم الحزب على نفسه .

وعارض بعض أعضائه الاعتداء الغاشم على مصر حتى اضطر ناتنج الوزير الاخصائى فى شئون الشرق الأوسط لتقديم استقالته لامن الوزارة فحسب ولكن من مجلس العموم كذلك محتجا على

سياسة ايدن الخرقاء ومعلنا أنه لايوافق على الطريق الوعر الذى يسير فيه رئيس الوزارة البريطانية ...

واذا نظرنا للأمر نظرة موضوعية لوجدنا أن ناتنج بحكم منصبه هو الوحيد بين أعضاء الوزارة البريطانية الذى يملك البت فى أمور الشرق الأوسط فهو وزير الدولة لشئون هذه المنطقة وكان من الطبيعى — لو كان ايدن نفسه طبيعيا — أن يكون رأى ناتنج هو رأى الوزارة البريطانية ولكن ايدن سد أذنيه عن سماع صوت الاخصائيين وألقى سمعه لرجال المخابرات ولكيلرن فأوردوه موارد التهلكة ...

لقد باءت حملة الغدر بالفشل وكان لابد لها من هذه النتيجة التى كان العقلاء يتوقعونها فى جميع أنحاء العالم ... والدرس الذى لقنه شعب مصر للمعتدين درس لن ينساه المستعمرون فى سهولة فسيظل مطبوعا فى أذهانهم الى وقت بعيد ..

حدثنى المستر دوجلاس لاشانس مندوب الاذاعة الكندية عما شاهده خلال جولة قام بها فى باريس وقبرص وبور سعيد قال :

لقد كنت فى باريس عندما حضر ايدن وسلوين لويد لمقابلة جى موليه وبينو .. وكنت أحد الذين حضروا المؤتمر الصحفى الذى تحدث فيه سلوين لويد وكان ايدن حاضرا وأستطيع أن أقول أن ايدن كان يبدو فى هذا الوقت فى حالة عصبية شاذة .. كان يقبل على الشراب اقبالا غريبا وبطريقة تنم على أنه يعانى أزمة نفسية حادة .. كان يشرب تماما كما يشرب المهموم لينسى همومه ... وكنا نعلم جميعا سبب مرض ايدن .. لقد أصيب بمرض عضال اسمه

ناصر ، كان هذا الاسم كافيا لكى يجعل رئيس الوزارة البريطانية يرتجف فى عصبية ، وتظهر عليه أعراض من سمع شيئا رهيبا ... وكنا جمعا من الصحفيين ورجال الاذاعة من جميع أنحاء العالم نعلم هذه الحقيقة وقد جربنا مرارا أثر هذه الكلمة ( ناصر ) فى نفس ايدن فكان فى كل مرة تظهر عليه أعراض المرض الخطير .

كان سلوين لويد يتحدث وفجأة يصمت عن الكلام . . . ثم نكتشف أن ايدن قد أشار اليه فسكت ثم يشير اليه فيتكلم ... لقد آمنا جميعا أن سلوين لويد ممن يحركهم ايدن كمايشاء ..

وهذه الظاهرة يشترك فيها كل الرجال المحيطين بايدن ... كل أعضاء وزارته عبيد له ... انه ضعيف الشخصية ... ويحيط نفسه برجال أضعف شخصية منه ... حتى يبدو بينهم الرئيس الحازم القوى ...

ويستطرد محدثى فيقول :

لقد كنت فى قبرص يوم بدأ الغزو البريطانى الفرنسى على مصر .. وجلست فى بار الفندق بين عدد كبير من الصحفيين وكان طبيعيا أن يكون حديثنا عن مصر ... وعن الرئيس عبد الناصر بالذات ...

وفجأة سأل أحد الصحفيين :

— كم من الوقت سيقضيه ناصر فى مصر قبل أن يسقط ...

وأجاب الصحفيون على السؤال ...

وبدأ الرهان ...

راهن أحدهم أنه سيستغرق يوما .

وراهن البعض أنه سيأخذ أسبوعا قبل السقوط ...

واحد فقط راهن أن عبد الناصر لن يسقط وأن الذى سيسقط هو ايدن ..

لقد اعتبرنا هذا الصحفى يومئذ مقامرا واتهمه بعضهم أن الخمر قد لعبت برأسه ولكن الأيام أثبتت أنه وحده هو المصيب .. وكان هو الذى كسب الرهان ...

ويسألنى المستر لاشانس الذى شهد بسالة شعب بور سعيد فى كفاحه ضد العدوان وأشاد ببطولته يسألنى بصفتى مصريا عن أشياء يريد أن يعرف الجواب عليها ... وأطلب منه أن يوجه لى ما يشاء وأعده بأن أجيبه على قدر معلوماتى فيقول :

— يظن بعض المراقبين أن أحد أغراض البريطانيين والفرنسيين من هجومهم ، كان القضاء على حكومة مصر ، اذ كانوا يأملون أن يؤدى الهجوم بالمصريين الى الانقلاب على حكومتهم ، فهل تظن أن هذا كان هدفهم حقيقة ، واذا كان كذلك فما هى النتيجة ؟

وقلت له :

— لقد كان واضحا من حملات الدعاية الواسعة التى قامت بها كل من بريطانيا وفرنسا والمسئولين الرسميين فى هذين البلدين ، وما تضمنته تلك الحملات من هجوم شخصى على الرئيس جمال وعلى حكومة مصر بصورة لم يألفها العرف الدولى ، كان واضحا من ذلك أن شخص الرئيس جمال ، وكذا حكومته ، كانا مقصودين بالهجوم ، وأن الهجوم الفرنسى البريطانى كان يهدف الى القضاء على حكم الرئيس جمال عبد الناصر ، لا لمجرد القضاء على

شخصه ، بل لما يعنيه القضاء على الحكومة المصرية المستقلة المتحررة بالنسبة لبقية دول المنطقة .

ولقد أعلن المسئولون فى مصر ، أن مصر لن تكون تابعة لأحد ، لا للشرق ولا للغرب ، وأنها تسلك سياسة مستقلة متحررة لا تستهدف الا مصلحة مصر .

وأنها ستتعامل مع الجميع وتصادق الجميع بلا تمييز ، وأنها ترحب بالمعونة من أى جانب ، طالما أن هذه المعونة لا تمس سيادتها أو تقيدها بأى قيد .

وكذلك أكد المسئولون فى كل مناسبة ، أن مصر متمسكة بمبادىء التعايش السلمى ، وعدم الانحياز ، والمحافظة على صداقة الجميع ، وأعلن الرئيس جمال أن مصر تسالم من يسالمها وتعادى من يعاديها . وأن مصر ليست لها أية مطامع عدوانية على الاطلاق .

ولقد أغضبت سياسة مصر المتحررة المستقلة كلا من فرنسا وبريطانيا ، فبريطانيا لا تزال لها بقية من نفوذ فى الشرق الأوسط ولها مصالح أصبحت مهددة بموجة التحرر العربى وتيار القومية العربية التى تجد فى مصر أملها وطليعتها ، فمعنى القضاء على النظام الحاضر فى مصر الذى يمثل كل هذه المعانى بالنسبة لشعوب المنطقة بأسرها ، هو انتكاس هذه الأمانى وتبدد هذه الآمال والقضاء على الحركات التحررية والاستقلالية فى منطقة الشرق الأوسط كلها ، ولقد كان القضاء على القومية العربية هو ماهدفوا اليه من محاولتهم القضاء على حكومة الرئيس جمال عبد الناصر .

أما أملهم فى انقلاب الشعب المصرى على الحكومة بهذا الهجوم ،

فقد كان مبعثه أنهم خدعوا بمن كانوا يقومون بامدادهم بالمعلومات عن مصر وشعبها ، فالذى حدث هو العكس ، اذ زاد تماسك الشعب بجميع عناصره والتف حول حكومته نتيجة لهذا الهجوم الغادر ، الذى كان البريطانيون والفرنسيون يهدفون من ورائه الى اعطاء الشعوب الصغيرة المتحررة درسا لا تنساه وعبرة بما كانوا يأملون حدوثه فى مصر ، ولكن النتيجة كانت عكس ما أرادوا تماما .

لقد هبت جميع الشعوب العربية ضدهم متضامنة مع مصر بصورة لم يدر بخلد الانجليز قط أن تقع ، وكانت النتيجة أن وقعت أزمة البترول وتعطلت الملاحة واضطربت الأحوال فى انجلترا وفرنسا نتيجة العدوان على مصر بغير مبرر على الاطلاق . وهكذا ألحقوا بأنفسهم أضعاف ما أصاب مصر من ضرر ، نتيجة لحماقتهم ، وكانت النتيجة أيضا أن انكشفوا أمام كل من يحسن بهم الظن .

وعاد أيضا محدثى يسألنى :

— ما رأيك فى أن هناك اتهامات من بريطانيا وفرنسا تقول بأن حكومة مصر توالى الشيوعيين ، وأنها باتصالها بدول الكتلة السوفييتية تفتح أبواب الشرق الأوسط أمام الروس ؟

واجبته :

— لقد أجاب المسئولون مرارا على مثل هذا السؤال ولست بحاجة بعدها الى أن أؤكد أن هذه الاتهامات جميعها باطلة ، وقد لجأت اليها الدعاية البريطانية والفرنسية والاسرائيلية لتغطى بها بشاعة العدوان الهمجى على الشعب المصرى المسالم، والذين يثيرون

هذه الاتهامات يعرفون جيدا أن مصر فى تعاملها مع دول الكتلة السوفيتية لا تعدو التعامل على أساس تجارى بحت ولا يعقل أن تلام مصر لأنها تتعامل مع أى بلد ، لتصرف محصولاتها الرئيسية ولتحمى اقتصادها القومى .

ثم بماذا تبرر فرنسا وانجلترا تعاملها مع الكتلة السوفيتية اذن ؟ .. ان أحداً لم يتهمها بفتح أبواب أوربا أمام الروس ، كما تتهم مصر . أن مايزعج انجلترا وفرنسا فى الواقع هو افلات مصر وافلات اقتصادها من قبضة احتكاراتهم ، التى ظلت تستغل موارد مصر زمنا طويلا ، بلا منافسة من أحد ، فلما ظهر منافس جديد فى السوق أثار ذلك غيظهم وأخذت الاتهامات تنهال على مصر، وراحت دعاياتهم تتهم مصر بموالاة الشيوعية وفتح أبواب الشرق الأوسط أمام الروس ، كل هذا لكى يثيروا على مصر ، الرأى العام الأمريكى ولكى يجدوا مبررا لعدوانهم الغاشم .

وتلقيت السؤال الثالث عندما قال :

— اشتركت كندا بعدد قليل من قواتهـا فى قوة الطوارىء الدولية التابعة للأمم المتحدة التى دخلت الأراضى المصرية ، فما هى وجهة نظرك فى مدى استطاعة هذه القوة القيام بواجبها فى المحافظة على السلام ، وأين تقوم بعملها ومتى ؟ ونحن نعلم أن قناة السويس ملك لمصر ، وأن مصر مسئولة عنها ، وقد طلبت مصر معونة الأمم المتحدة لتطهير القناة ، فعلى أى نحو ستقدم تلك المعونة ؟

واجبته :

— الذى أستطيع أن أقوله لك استنادا الى ماصرح به المسئولون ،

ان قرارات الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة قد حددت واجب قوة الطوارىء الدولية بمراقبة انسحاب القوات المعتدية من الأراضى المصرية ، وانسحاب القوات الاسرائيلية الى ماوراء خطوط الهدنة التى حددتها اتفاقية الهدنة المصرية الاسرائيلية لسنة ١٩٤٩ .

وقد اتفق على أن تقوم هذه القوة بمراقبة سحب القوات البريطانية والفرنسية المعتدية من بور سعيد ، ثم تنتقل الى سيناء لمراقبة انسحاب القوات الاسرائيلية منها الى ماوراء خطوط الهدنة انسحابا كاملا ، وبعد ذلك يصبح الأمر لهيئة الأمم المتحدة التى أنشأت هذه القوة .

أما المعونة التى طلبتها مصر من هيئة الأمم المتحدة ، لتطهير القناة بعد أن تسبب العدوان الثلاثى المشترك فى تعطيل الملاحة فيها ، فقد علمت أنها تشمل كل أنواع المعونة سواء أكانت مالية أو فنية ، حتى يمكن اعادة الملاحة فى القناة لحالتها الطبيعية قبل العدوان خدمة للاقتصاد العالمى .

وعاد المستر لاشانس يسأل :

— يبدو لى أنه حتى لو نجحت قوة الطوارىء الدولية فى تحقيق انسحاب جميع القوات المعتدية من الأراضى المصرية ، فانه لا يمكن الوصول لحل مرضى سواء فى نظر مصر أو نظر المراقبين أمثالنا بدون تسوية شاملة فى الشرق الأوسط . فهل مثل هذه التسوية ممكنة ؟ وفى أى شكل تكون ؟ واذا أمكن الضغط على اسرائيل لاصلاح بعض أخطائها الماضية فهل تتسامح مصر فى بعض مطالبها ليمكن الوصول الى عقد معاهدة عامة ؟

واجبته :

الذى أعرفه استنادا الى ماصرح به المسئولون دائمـــا ، أن تسوية المشاكل تساهم الى حد كبير فى تدعيم الســـلام والأمن العالمى ، وأن نجاح قوة الطوارىء الدولية فى تحقيق انسحاب القوات المعتدية من الأراضى المصرية سيضع حدا للوضع الراهن ، ولكنه — بالطبع — لن يتعرض للمشاكل الرئيسية بالحل ، ولاشك أيضا أن فى تسوية مشاكل المنطقة على أساس من العدالة ورعاية الحقوق أمر جوهرى ، يرحب به جميع الأطراف واعتقد أن من الممكن عمل تسوية شاملة لمشاكل الشرق الأوسط اذا أخذ بحلول غير متحيزة ، فالتسوية التى ترد الى عرب فلسطين حقوقهم كاملة غير منقوصة هى التسوية التى يرحب بها الجميع ، أما الحديث عن تخلى مصر عن بعض مطالبها ، فأعتقد أن القول به غير مجد ، لأن مصر انمـــا تطالب برد حق مغتصب الى أهله ، فاذا ما أعيد هذا الحق ، فانه وفقا لما قال به المسئولون فى مصر ، لا يصبح هناك ثمـــة مانع من عمل تسوية شاملة فى الشرق الأوسط .

لقد أردت بهذا الحديث أن أطلع القـــراء على جانب هام من جوانب المعركة .. تلك الدعايات المغرضة التى يحاول بها الاستعمار أن يخلق الصعوبات فى وجه مصر . .

ولكن هذه المؤامرة الأخيرة قد ألقت الضـــوء على كثير من الخفايا وأطلعت العالم على جوانب كثيرة كان الاستعمار يحاول أن يفرضها على عقول الناس دون أن يتمكن الطرف الآخر بأن يرد الاتهام أو يدلى برأيه فيما يكال اليه ...

لقد جنى الاستعمار على نفسه .. فعاد مدحورا من القناة . .
وهو فى نفس الوقت قد أتاح للعالم أن يعرف الحقيقة كاملة .. تلك
الحقيقة التى ظلت طوال هذه السنين محجوبة عن شعوب العالم
بواسطة الصحافة المأجورة .. والذمم الخربة .. انه درس عسى أن
يعيه الاستعمار جيدا .. فلا يورط نفسه فى تجارب يعلم تماما أنها
لن تعود عليه بغير شىء واحد ، قد دلته عليه جيدا تجربته مع مصر..
هذا الشىء ، هو أن الأحرار فى مصر والأحرار فى العالم كله ، قد
آلوا على أنفسهم أن يحطموا كل قيد ، وأن يمزقوا كل اسار ...
وأول قيد قد تحطم وأول أسار قد تمزق . كانا قيد الاستعمار
واساره . .

# الفصل العاشر

## ماذا فى بريطانيا ؟

عاد ايدن من جمايكا ليواجه أعنف حملة وجهت الى رئيس وزارة بريطانى وليحاول — ان استطاع — اصلاح ما أفسدته سياسته الخرقاء .

ترى هل فكر ايدن جيدا فى نتائج حملته العدوانية على مصر؟ . وهل استطاع قبل أن يبدأ العدوان أن يرى بعين خياله النتائج المحتملة والمتوقعة لهذه الخطوة الجنونية الطائشة ؟

وهل دار فى خلده أن النتائج الوخيمة سوف تقع عليه وعلى بلاده وسوف تجر الخراب والدمار لا الى بريطانيا وفرنسا واسرائيل فحسب ، بل والى غيرها من الشعوب التى لم تشارك فى المؤامرة ولكن نالها من نتائجها السيئة الاضرار الجسيمة ؟ !

كان أول أثر من آثار هذه الخطوة العدوانية الشقاق الذى وقع بين انجلترا وفرنسا من جهة والولايات المتحدة من جهة أخرى .

وبريطانيا اليوم وكذا فرنسا تحاولان اتهام الولايات المتحدة بأنها شجعت الرئيس عبد الناصر بسياستها السلمية على المقاومة وعلى الصمود ضد العدوان .

وقد وجهت الدولتان النقد المرضد دالاس ، واتهمته بأن موقفه

المتردد المتغير ساعد على الحد من سلطة هيئة المنتفعين وساعد على وقوف الدول العربية موقفا حازما حاسما .

ولاحظت صحافة العالم والمعقبون السياسيون أن دالاس — ولأول مرة — ذكر فى تصريحاته لفظ الاستعمار ، بعد أن كان الذى يتفوه بهذه الكلمة يوصف بأنه شيوعى .

وقد علل السياسيون الغربيون نتائج العدوان على مصر وخرجوا بأن هذه الحملة الخائبة قد عززت من نفوذ مصر بين الدول العربية وقوت مركزها فى الكتلة الأسيوية الافريقية ، وخرجت هذه الشعوب بعد العدوان تكون كتلة هائلة جبارة تماسكت تماما ووحدت الى حد كبير سياستها الخارجية وموقفها من مشكلات العالم .

ويرى هؤلاء المعقبون أن مشكلة القناة قد ظهرت أهميتها بالنسبة للعلاقات التجارية بين أوربا من جهة وآسيا وافريقيا الشرقية من جهة أخرى كما بينت أهمية بترول الشرق الأوسط بالنسبة لأوربا بشكل مفزع فايقاف استيراد البترول من الشرق يشل الاقتصاد والقوات العسكرية الأوربية لمدة طويلة الى أن تصل امدادات البترول الأمريكى . كما أن استيراد البترول من أمريكا يحمل الدول الأوربية تبعات مالية ضارة باقتصادها ، واغلاق قناة السويس يرفع من أثمان المنتجات المصدرة من أوربا الى دول شرق افريقيا وآسيا وتبعا لذلك تسير التيارات التجارية فى غير صالح دول أوربا .

**هذه هى نتائج العدوان على مصر بصورة عامة اما فى بريطانيا**

فقد اضطردت نسبة الزيادة فى استهلاك البترول ٢٠ فى المائة خلال النصف الأول من عام ١٩٥٦ بينما بلغت ١٣ فى المـائة فى أوربا الغربية .

وبريطانيا تستورد ٩٠ فى المائة من بترولها من الشرق الأوسط: ٧٩ فى المائة منه يأتى عبر قناة السويس التى أغلقت و ١١ فى المائة من الأنابيب التى نسفت .

وقد حاولت بريطانيا أن تجد حلا لهذه المشاكل ففكرت فى استيراد البترول عن طريق رأس الرجاء الصالح ، وقد اتضح أن ذلك معناه انخفاض الكمية التى تصل بنسبة ٤٠ فى المائة لعـدم وجود ناقلات كبيرة الحجم .

أما الاستيراد من أمريكا فمعنـاه خسائر مادية فادحة من العملات الصعبة الموجودة فى منطقة الاسترلينى ، فضلا عن ارتفاع أسعار البترول الأمريكى ، ومشكلة البترول فى بريطانيا لها نتائج خطيرة على الصناعة فقد طرأ ارتفاع كبيرعلىأسعارتكلفةالصناعات نتيجة لاغلاق قناة السويس ، وتصاحب مشاكل الصناعة مشكلات التجارة فقد زادت التكلفة وزادت من جراء ذلك أسعار الحاجيات بزيادة الرسوم الجمركية .

هذه النتائج السياسية والاقتصادية الخطيرة حاولت بريطانيا أن تحلها حلا عاما بعد أن فشلت الحلول الداخلية المؤقتة واتضح أنها علاج مسكن فقط يصبح عديم الجدوى بعد وقت قصير .

كانت أولى هذه المحاولات تكوين وحدة اقتصادية كبيرةتضم دول غرب أوربا وتستطيع الوقوف أمام الوحدتين الاقتصاديتين

الكبيرتين : روسيا والجمهوريات الشعبية من جهة ، والولايات المتحدة ودول أمريكا اللاتينية من جهة أخرى .

واعتقدت بريطانيا أنها بخلق هذه الكتلة تستطيع أن تحل مشاكلها الاقتصادية دون أن ترتبط بالولايات المتحدة .

وعند تنفيذ هذه الخطة بل عند تنفيذ أول بنودها اكتشفت بريطانيا فشلها الذريع ، فقد وجدت أن ألمانيا الغربية سوف تكتسحها تماما كما رأت أن رفع الرسوم الجمركية سينتج عنه انهيار تام فى اقتصادياتها ، وبذلك أوقف المشروع فور الانتهاء من وضع أسسه ، وقبل أن يسير الخيال به الى طريق التنفيذ .

أما من الناحية السياسية فقد بذلت بريطانيا جهدها لتستعيد نفوذها المفقود فى منطقة الشرق الأوسط .

وكانت أولى المحاولات تعزيز حلف بغداد وكانت محاولة يائسة أخيرة قام بدور البطولة فيها مندريس التركى الاستعمارى البريطانى .

فقد رحل الى بغداد ودارت محادثات طويلة بينه وبين نورى السعيد وكثير من الزعماء المؤيدين لنورى السعيد وقد نجح مندريس ، وبرجى الأمين العام لوزارة الخارجية التركية نجاحا فى اقناع المسئولين العراقيين بأن كل تغيير فى الحكومة الحالية لن يؤدى الا الى اضعاف البلاد وفتح أبوابها للشيوعية ، وهى الحجة الواهية والشبح الذى تستعمله الدول الاستعمارية لتمكين نفوذها فى الشرق .

وقد بقى مندريس فى بغداد ينتظر عودة رئيس جمهورية باكستان ، الذى قام بزيارة الملك سعود فى حين كان الوزير

الباكستانى يتحدث فى بيروت مع الرئيس شمعون .

كان الأمل الذى يراود الأتراك أن تنضم السعودية ولبنان الى حلف بغداد فيتم عزل مصر وسوريا والأردن عن منطقة النفوذ البريطانى .

ولكن موقف الملك سعود وموقف شمعون كان لهما الفضل الأول فى احباط هذه المؤامرة .. وفشل حلف بغداد فى محاولته الجديدة للتوسع على حساب القومية العربية .

ولم تيأس قوى الاستعمار ، بل حاولت محاولة جديدة . . اذا كان العرب يكرهون حلف بغداد ويشكون فيه ويتخوفون منه فلتكن محاولة جديدة وليكن الهدف هـذه المرة محاولة ادخال السعودية ولبنان فى حلف الأطلنطى الذى يضم بريطانيا وتركيا زعيمتا حلف بغداد ، وقدر لهذه المؤامرة الجديدة أن تفشل كذلك .. ان القومية العربية الواعية تفهم تماما محاولات الاستعمار ولن تتركه يتسرب داخل صفوفها .

هذا من ناحية المحاولات الاستعمارية الجديدة فى الشرق الأوسط .

ولكن ألم يكن لكل هذه الأحداث صدى داخل بريطانيا ؟

كان أول هذه الآثار الانقسام المريع الذى حل بحزب المحافظين، فعندما أقدم ايدن على محاولته العدوانية خسر بضعة أصوات من حزبه عارضت العدوان المسلح ولكنه كسب أصواتا أخرى يتزعمها كيلرن زعيم المدرسة الاستعمارية القديمة .

وعندما اضطر للانسحاب من مصر فقد هذه الأصوات التى

كانت تؤيده وفى نفس الوقت لم يكسب الأصوات التى عارضته من قبل ...

ومعنى ذلك أن الهوة قد اتسعت بين فريق حزب المحافظين وأن ايدن قد خسر كلا المعسكرين .

وكان لهذه الأحداث الهامة التى تجرى بين صفوف المحافظين أثرها البعيد فى حزب العمال فقد بدأ ينظم نفسه ويستعد لتولى تركة ايدن المثقلة ..

فقد أعاد العمال تنظيم لجان الحزب فعدلت الوظائف والمهام فيه.

• فقد انتخب المستر بيفان Bevan ليكون السفير الأول لسياسة المعارضة الخارجية .

• أما المستر ريبنز repens فقد ترك محله لكى يعود الى منصبه الأول الذى نبغ فيه وهو الخاص بالعمل والوقود والقوة المحركة .

• والمستر كلاجان Callaghan أخذ محل مستر بيفان وأصبح مختصا بمسائل المستعمرات .

• وأما السير فرانك بيسكف Frank Beskif فقد اختص بشئون العمل والمسائل البرلمانية القانونية بوجه عام .

• واحتــل المستر ج • براون G.Brown مكان المستر ستوكس stoxes الذى لم يوفق فى قسم وزارة الدفاع الوطنى .

والحادث الهام فى هذا التعديل هو عدم اعادة انتخاب ريبنز وانتخاب بيفان مكانه .

الأضواء اذن تشير كلها الى بيفان والى أنه وزير الخارجية المنتظر .

وقد يكون من المفيد أن نحاول أن نتعرف على سياسة المستر بيفان وآرائه فى هذه المشاكل ..

وأستطيع أن أقرر أنه استنادا الى تصريحات بيفان فى مجلس العموم وفى مناسبات كثيرة أخرى أن أذكر أن سياسته تقوم على النقط الآتية :

• يرى أنه يجب أن تشترك روسيا فى موضوع حل مشاكل الشرق الأوسط وقد اعترض البعض على بيفان بقولهم أن دماء المجر تلطخ أيدى روسيا ولكنه رد عليهم بقوله : ان الغرب أعاد تسليح ألمانيا ، رغم الدماء التى سفكها هتلر .

• يستنكر سياسة التدخل الفرنسى البريطانى فى مصرويؤيده حزبه فى ذلك .

• يرى ضرورة مراجعة عقود الامتياز لشركات البترول فى الشرق الأوسط لتخصيص جزء من الحصيلة لتنمية البلاد المختلفة فى المنطقة ...

• ويعتقد بيفان أن الرأى العام المصرى يؤيد حكومته أكثر مما يظن المحافظون فى مسألة قناة السويس وفى طريقة معالجتها للمشاكل السياسية ..

هذا هو ملخص آراء بيفان المسئول عن السياسية الخارجية فى حزب العمال الذى يتحفز لتولى مهام الحكم فى بريطانيا ..

وبعد .. ان الدرس الذى تلقاه أيدن والمحرضون على يدمصر درس لايمكن أن ينساه عاقل .. ان الاستعمار قد وئد على ضفاف القناة ولا حياة له بعد اليوم مهما حاول أن يغيرمن أشكاله وألوانه .

# الفصل الحادى عشر

## محاولة لإنقاذ حلف بغداد

فى الخامس والعشرين من نوفمبر الماضى،غادر أدهم مندريس. وزير خارجية تركيا بالنيابة ، ومعه نورى برجى ، سكرتيرهاالعام، بلادهما فى زيارة للندن ، وأشيع فى دوائر الخارجية التركية أنهما قد سافرا لحضور اجتماعات حلف الأطلنطى وصاحب هذه الزيارة الكثير من الاهتمام،بالنسبة لأنها وقعت فى وقت كانت منطقة الشرق الأوسط فيه تمر بأحداث بالغة الأهمية ، تلعب دورا هاما فى مستقبل هذه المنطقة،لاسيما بعد وقوع العدوان الأثيم على مصر وعلى أثر الاجتماعات التى عقدت وحضرتها الدول الأعضاء فى حلف بغداد ، ولم تحضره بريطانيا ، التى غابت فى خضم أحداث الشرق الأوسط، تلك الأحداث التى زعزعت من أركان الحلف وهددت بانهياره .

• ذهب وزير الخارجية بالنيابة والسكرتير العام الى لندن، متسللين فى ستار الضجة المفتعلة التى أثيرت حول سوريا ، وتغلغل النفوذ السوفييتى فيها ، وما تبع ذلك من انذار حلف بغداد باتخاذ الاجراءات الضرورية لوقف تغلغل المبادىء الهدامة المتزايدة فى المنطقة ( كذا ) .

وكان المقصود فى الواقع هو سوريا التى أخذت القوات التركية تحتشد على حدودها .

ولما كانت تركيا ترتبط فى سياستها ارتباطا وثيقا بالسياسة البريطانية ، فقد كانت — ولا تزال — هى الأداة التى تستخدمها بريطانيا لتنفيذ سياستها فى الشرق الأوسط ، تلك السياسة التى تجسدت فى حلف بغداد .

ولما كانت الظروف قد شاءت أن يعقد الحلف بعض الاجتماعات بغير حضور بريطانيا ، فقد كان واجبا مفروضا على المسئولين الأتراك أن يقدموا كشفا الى شركائهم عن هذه الاجتماعات وعن مركز الحلف .

• ورغم أن أدهم مندريس وزير خارجية تركيا بالنيابة ، لم يحضر اجتماعات حلف بغداد ، فقد سافر الى لندن فى ظل هـذه الاجتماعات كى يضفى على زيارته بعض الأهمية ، وكان الرجل المعول عليه هو نورى برجى السكرتير العام لوزارة الخارجية ، والذى حضر اجتماعات حلف بغداد مع عدنان مندريس رئيس الوزراء .

• وسافر برجى الى لندن وهو يسمع معاول الهدم التى تنذر بانهيار حلف بغداد ، ويرى المستقبل الحالك الذى يقف فى سبيل السياسة البريطانية ، والسياسة التركية فى منطقة الشرق الأوسط ، فهو يذهب ليعرض الحالة ويتبادل الرأى بشأن الخطط الواجب اتباعها لانقاذ الموقف .

• وأجمعت الدوائر السياسية على أن محادثات لندن قد

تناولت مشكلة قبرص ومطالبة تركيا بتعزيز مركز بريطانيا والاتفاق على موقف موحد للدولتين عند مناقشة المشكلة فى الجمعية العامة للأمم المتحدة .

وجدير بالذكر أن احدى الصحف التركية قد نشرت يوم وصول وزير الخارجية الى لندن مقالا بعنوان : « تركيا تطلب الكلام » ، وجعلت الجريدة توقيع المقال « ظفر » ، وذلك لتوحى الى قرائها أنه يعبر عن رأى الدوائر الرسمية .

واذا تأملنا سطور المقال باهتمام ، وجـدنا أنه يكشف عن اتجاهات السياسة التركية وتقديرها للموقف فى الشرق الأوسط .. وعن ارادتها بالنسبة للمستقبل ، ومن سطور هذا المقال نستخلص هذه الحقائق :

• أن تركيا تلقى تبعة الحوادث التى وقعت فى الشرق الأوسط على عاتق السياسة المصرية ! وتلقى التبعة أيضا على الدول العربية التى تؤيد السياسة المصرية تأييدا مطلقا ، يسبب لتركيـا أبلغ الاضرار ، وخص المقال ـــ بالذات ـــ المملكة العربية السعودية باللوم المطلق .

• ونم المقال عن أمل تركيا ، الذى يحلق فى سماء بعض الدول العربية ، بأمل ضم هذه الدول الى حلف بغداد ، ومن ناحية أخرى ينم المقال عن شعور المرارة المتزايد ازاء المحاولات التى بذلت لتحقيق هذا الغرض ، وانتهت بالفشل .

• ومما اشتمل عليه المقال أيضا ، ماهدفت تركيا الى تحقيقه من وراء سعيها لتعزيز حلف بغداد وللتوسل الى الولايات المتحدة

للانضمام اليه ، خاصة بعد أن ضاعت هيبة بريطانيا فى الشرق الأوسط نتيجة لتآمرها مع اسرائيل على العدوان على مصر .

ولا تزال الولايات المتحدة تقابل هذه المحاولة بالاعراض ، وتكتفى بتقديم ضمان تتعهد فيه بالمحافظة على سلامة أعضائه بالرغم من المبالغة فى تصوير الخطر الشيوعى وتغلغل النفوذ الروسى فى المنطقة .

• كما ترى تركيا أن عهد تقسيم مناطق النفوذ قد ولى ، وأن تطور الحوادث قد كشف عن ارتباط انتاج البترول ونقله وتوزيعه بمنظمات الأمن والدفاع المشترك وكما كانت البلاد العربية التى تنتج البترول والتى تمر بها أنابيبه غير موالية للغرب ، فهى تطالب بمساعدتها على التنقيب عن الثروة البترولية الموجودة فى أراضيها التى يعلق عليها المسئولون الأتراك آمالا كبارا ، وفى الوقت نفسه انتهزت تركيا الفرصة لاقناع المسئولين البريطانيين بتحويل أنابيب البترول التى تمر بالعراق عبر الأراضى السورية واللبنانية الى الأراضى التركية وتنتهى عند ميناء الاسكندرونة ، وفى الوقت نفسه نصحت بمد أنابيب جديدة من ايران الى تركيا ، مطالبة بألا تحول النفقات الباهظة التى يتطلبها تنفيذ هذه المشروعات عن المضى فى تنفيذها لضمان سلام العالم وأمنه .

وواضح أن هذا التعبير « أمن العالم وسلامه » قد ذكر باعتبار أن تركيا قاعدة مضمونة للغرب !

• وأثير أيضا موضوع تقوية حلف بغداد باعتباره منظمة الدفاع التى تكفل حرية المرور بين أوربا وافريقيا وآسيا ، مما

لا يستبعد معه أن تسعى تركيا لاتحاد رابطة حلفى بغداد والأطلنطى، وحجتها فى ذلك أن مصالح دول غرب أوربا من أعضاء حلف الأطلنطى، قد تعرضت لاضرار بالغة ، فى حين أنها لم تمس بأى سوء فى البلاد الأعضاء فى حلف بغداد .

ومن أجل ذلك ترى تركيا أن المصلحة المشتركة تقضى بتعاون الحلفين وتضامنهما ومن غير تركيا العضو فى الحلفين والتى تقع فى منطقة الشرق الأوسط ، يحق له أن يتبنى هذا المشروع ! وليس مستغربا بعد ذلك أن تلعق تركيا حذاء الغرب ، وأن تجعل من موانيها قواعد للعدوان الفرنسى البريطانى على مصر — كما حدث أخيرا — اذ أن هذا الذى حدث ، ومناوشاتها على الحدود السورية، وتحركات جيوشها انما هو جزء من خطة تقول : ان تركيا تريد أن تستعيد مجدا آفلا ، ونفوذا لم يعد له وجود .

ورغم الضربة الأولى التى أصابت أحلام تركيا ، بفشل غزو مصر ، فلا تزال تحلم على ضوء آمال أخرى .

ترى .. متى تستيقظ تركيا من أحلامها ، لتواجه الواقع ؟ ..

# الفصل الثاني عشر

## سياسة الأحلاف

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية واندحرت العسكرية الألمانية وسقط هتلر بدأت قوات الحلفاء تفكر فى حاضرها ومستقبلها ... وسرعان ما بدأت الحدود تظهر بين حلفاء الأمس ، وشقة الخلاف تتضح وتتسع ...

وانقسم الحلفاء الى معسكرين وبدأ كل معسكر منهما يضع الخطط ...

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أسرع الحلفاء الى وضع الخطط ورسم طريق المستقبل .. وفى سرعة خاطفة خرج الى الوجود مشروع مارشال . وأخذت الدولارات طريقها من خزائن أمريكا الى أوربا المنهارة الفقيرة التى هلكت أو أوشكت على الهلاك ...

وعرفت الدولارات الأمريكية طريقها جيدا فسارت فى أوربا الغربية والوسطى والشرقية . . . وانتشرت المعونة الاقتصادية الأمريكية تفتح الطريق أمام السيطرة الأمريكية السياسية .

فعندما بدأت البطون فى أوربا تحس بالشبع كان لزاما عليها أن تفكر فى الثمن الذى سوف تدفعه ... وكان الثمن معدا .

وولد حلف شمال الأطلنطى ...

وكان نذيرا بميلاد أول الأحلاف العسكرية فيما بعد الحرب . ومنذ ذلك اليوم تحدد على خريطة العالم كتلة فى الغرب وكتلة فى الشرق ... وكان الرد الطبيعى على حلف الأطلنطى حلفا آخر يقابله ويقف فى مواجهته . وقد ظهر حلف وارسو يضم روسيا ودول أوربا الشرقية ...

ولما كان العالم لايعنى أوربا وأمريكا فقط فقد كان من الضرورى إيجاد أحلاف أخرى لآسيا وافريقيا ... واستطاع حلف الاطلنطى أن يلد حلفين جديدين . حلف بغداد . وحلف جنوب شرق آسيا .

وزادت حدة التوتر . وبدأت الشعوب الصغيرة تدرك معنى الأحلاف العسكرية .. وهو المعنى الأمريكى المهذب للاستعمار .

وتطور التاريخ فى سنوات قليلة وبدأت هذه الأحلاف نفسها تتفكك حتى أوشكت الآن على الانهيار ...

أصيب حلف الاطلنطى بصدمة عنيفة من جراء الاعتداء الثلاثى الأخير على مصر فقد اتضح أن دول الحلف أو أكثرها لم يؤخذ رأيها فى الاعتداء رغم أنها تحملت نتائجه الخطيرة ، فدول غرب أوربا التى انهارت اقتصادياتها بسبب غلق قناة السويس لم يكن لها رأى فى العدوان على مصر .

وكان من جراء الكساد الاقتصادى والأزمة الخطيرة التى هددت بريطانيا أن ظهرت جبهة قوية فى مجلس العموم البريطانى تنادى بضرورة التقليل من ميزانية القوة المسلحة التى تنفق على حلف الأطلنطى وتقول هذه الجبهة : لماذا لاتزاد الأعباء العسكرية على ألمانيا الغربية ؟ واذا انتصرت هذه الآراء فمعناها قيام العسكرية

الألمانية مرة أخرى ، واذا قامت العسكرية الألمانية فسيكون معنى ذلك ترجيح الكفة التى ستنضم اليها .

واستعمال أسلحة حلف الأطلنطى فى العدوان على مصر قلل من هيبة الحلف ومن احترام العالم له وكشف نواياه وأصبح لا يمكن لأصحاب الحلف الادعاء بأنه وجد من أجل السلام فى العالم .

هذه الظروف كلها أحدثت تفككا فى حلف الأطلنطى وأصبح بعدها من الصعب عليه أن يقف طويلا أو أن يعيش قويا فى ظل سادته ...

ولم يكن حلف وارسو بأسعد حالا من حلف الأطلنطى فسياسة ستالين التى وجد الحلف فى ظلها لم تجد تأييدا لدى ساسة روسيا اليوم — فقد كان ستالين يرى أن تسير دول الديمقراطيات الشعبية خلف موسكو مباشرة ... أما ساسة روسيا بعد ستالين فلا يرون مانعا من اعتناق المذهب الشيوعى على ضوء المصالح القومية للدول .

وصاحب التطور التاريخى للشعوب تطور آخر فى نظرة المسئولين فى روسيا فأصبحوا اليوم يرتبطون بدول الكتلة الشرقية على أساس التعاون وليس على أساس التبعية وهذا أيضا له تأثيره الكبير على حلف وارسو الذى أصبح غير ذى موضوع بعد تغيير سياسة ستالين .

أما حلف بغداد فالحديث عنه وعن انهياره يعتبر حديثا معادا مكررا ، فهذا الحلف قد ولد ميتا وقد أهالت القومية العربية عليه التراب وقبرته فى مولده .

ولا ننسى أن فرنسا حاربت هذا الحلف لأنها لم تستشر فيه

كما أن أمريكا تساندە اقتصاديا ولم تنضم اليه بعد رغم محاولات تركيا وبريطانيا المتكررة لضمها اليه .

ويبدو أن الدولة الوحيدة التى تتحمس لحلف بغداد أكثر من غيرها هى تركيا التى انتعشت اقتصاديا بواسطة مشروع مارشال فهى الآن تملك جيشا قد يعتبر قويا وذلك لسبب واحد هو أن العسكرى التركى يتطلب تكاليف أقل بكثير مما يتطلبه العسكرى الأمريكى فى تركيا .

وهذا هو حلف بغداد يلاقى حتفه اليوم ويموت بيد القومية العربية الناهضة .

أما حلف جنوب شرق آسيا فهو حلف آخر أنشأه الغرب ليكون حزاما يربط دول جنوب شرق آسيا ليمكن الوقوف بواسطته أمام أى تهديد روسى وهذا الحلف يتكون من مجموعة من الدول اقتصادياتها منهارة تماما .

ومنذ أن وجد الحلف وهو لم يف بأى غرض من أغراضه ويمكن القول دون خطأ أنه هو الآخر قد ولد ميتا .

ومع كل هذا فان الاستعمار لازال يركب رأسه ولا زال يحاول أن يغير من الأحلاف دون أن يغير من التفاصيل كثيرا .. فبعد أن تأكد للغرب انهيار الأحلاف السابقة بدأ يطرق بابا جديدا ..

ونستطيع اليوم أن نزيح الستار عن الخطوة الجديدة .. عن الحلف الجديد الذى يسعى الغرب لاقامته ونحن واثقون تماما أن هذا الحلف لن يجد من دول العرب من يمد يده اليه فالقومية العربية اليوم أقوى منها فى أى وقت آخر ...

هذا الحلف الجديد الذى يسميه الاستعمار حلف الشمال الافريقى ، والخطة التى رسمت له وضعت على أساس أن تضم ليبيا وتونس كمرحلة أولى من مراحله ويتبع ذلك ضم مراكش ثم الدخول مع زعماء الجزائر الخمسة فى مفاوضات تتوسط فيها أمريكا بالضغط على فرنسا لمنح الجزائر حكما ذاتيا على أساس الدخول فى هذا الحلف ..

فاذا نجح ذلك أصبح الحلف فى البداية يضم ليبيا وتونس والجزائر ومراكش .. ثم يتطور الحلف ليمتد فى الجنوب الشرقى فيضم السودان ثم أثيوبيا ..

وتكون المرحلة الثالثة هى ضم السعودية والعراق اليه ..

وبذلك يتم تطويق مصر من جميع حدودها الغربية والجنوبية ويقيم الغرب سياجا من قواته وأحلافه ...

والذى نستطيع أن نقوله هنا أن الغرب قد وضع هذه الخطة فعلا وقد شرع فى تنفيذها ولكن هل يمكن لهذه الدول أن تقبل الدخول فى أحلاف عسكرية بعد انكشاف حلف الأطلنطى وحلف بغداد .. ؟

ان الذى تؤكده للغرب أن وطنية العرب فى ليبيا وفى تونس وفى الجزائر لا تقل أبدا عن وطنية العرب فى مصر وفى سوريا وفى السعودية والأردن ...

انهم يحلمون اذا تصوروا أنه يمكن شراء زعماء الجزائر بهذه الطريقة الاستعمارية المفضوحة .. وهم يحلمون عندما يتصورون أن السودان الشقيق يشترك فى هذه المؤامرة فيدخل فى أحلافهم

العسكرية الاستعمارية وهم قبل هذا يحلمون اذا تصوروا أن عربيا واحدا فى الوطن الكبير لا يفهم اليوم أهدافهم ولا يعرف نياتهم المبيتة ...

هل تتغير السياسة العالمية ؟ ان الذى تؤكده الأحداث أن الأيام القليلة القادمة تحمل تغيرات كبيرة فى سياسة كلا المعسكرين الشرقى والغربى . .

وسياسة ايزنهاور الجديدة تجاه الشرق الأوسط ... هل تعنى تغير فى وجهة النظر الاستعمارية ؟

هل علمت السلطات الأمريكية بعزم اسرائيل على القيام بعمليات عسكرية ضد الأردن وسوريا كرد على عمليات الفدائيين داخل اسرائيل ؟ أهو احتمال تطور الأحداث فى المنطقة أثر عدوان اسرائيلى جديد مما سببه منع روسيا للتدخل ؟

أو هو لتهديد مصر بطريقة غير مباشرة حتى لا تعرقل تنفيذ أمريكا للسياسة الجديدة حتى يمكن لها توطيد نفوذها فى المنطقة ؟

أو هو مساندة لدول حلف بغداد التى تشعر بضعف كيانها خاصة بعد انهيار النفوذ البريطانى فى المنطقة ؟

أو هو مناصرة للعناصر الموالية للغرب فى الشرق الأوسط مثل العراق بعد تأرجح موقف حكومة نورى السعيد أمام ثورة الشعب العراقى عليها ، وفشل المؤامرات الدنيئة ضد سوريا والأردن ؟

ان الذى نرجوه من وشنطن وهى تحاول أن تلعب دورها فى العام الجديد أن تعيد النظر فى سياستها تجاه الشرق الأوسط وأن تكون سياسة ناضجة .

نرجو من ساسة البيت الأبيض أن يعتمدوا على أناس شرفاء يوثق فى كلامهم حتى لا يقعوا فى أخطاء بريطانيا عندما اعتمدت على رجال المخابرات المضللين .

ان الطريق سهل ميسور وهو أن يفهموا الأمور بوضوح وأن يحذروا من المخادعين المضللين . اذا كان الشرق والغرب يعيـدان تكوين سياستهما وكيانهما فالقومية العربية هى الأخرى تقـوى وتستعد .

ان كيان المنطقة ــ بالمبادىء التى وضعها جمال عبد الناصر ــ فى قوة مستمرة وفى صعود مستمر ...

لو قلنا فى الأساطير ان جمال عبد الناصر أسقط ايدن لما صدقنا أحد ...

ولكن ايدن سقط وسيسقط كل استعمارى آخر ..

# الفصل الثالث عشر

# أمريكا آخر من يعلم

نشرت مجلة « ريبورت أندورلدنيوز » مقالا عن مدى علم الولايات الأمريكية بالعدوان المفاجىء على مصر ، دللت فيه على أن أمريكا لم يكن لديها سابق معرفة بخطة حليفتيها ( انجلترا وفرنسا) العدوانية على مصر ، الا أن الظروف التى سبقت هذا الاعتداء كانت تؤكد أن المستقبل ملىء بالاحداث .

وكتبت المجلة تقول تحت عنوان : « أمريكا آخر من يعلم » :

« كانت أحداث الشرق الأوسط بمثابة اختبار لمدى الامكانيات المتوفرة لدى أمريكا لحماية نفسها ضد أخطار أية حرب مفاجئة . وقد قيل تعليلا لفشل أمريكا فى الوقوف على تفاصيل العدوان الثلاثى على مصر قبل وقوعه ، ان المخابرات الأمريكية عجزت عن القيام بواجبها كاملا ومعرفة هذا الاتفاق قبل أن يقع العدوان .. وبذلك يمكن أن نقول : ان هذا الهجوم على مصر كان مفاجئا لأمريكا ، كما كان مفاجئا لها الهجوم اليابانى على بيرل هاربور ، منذ ١٥ عاما ، وكما كانت مفاجئة لها حرب كوريا .

وصار أخشى ماتخشاه أمريكا هو أن يظل جهاز مخابراتها عاجزا عن التكهن بأحداث المستقبل ، واذا كانت واشنطن قد عجزت عن معرفة خطط حليفتيها ، فكيف يمكن لها أن تكون على علم بخطط أعدائها أو نواياهم .. فاذا تساءلنا عن مدى علم الولايات المتحدة بالاحداث التى جرت بعد ٢٩ أكتوبر قبل وقوعها لوجدنا أنها انما علمت بأن هناك اتجاهات عدوانية ، وقد جاء علمها بهذا قبل ٢٤ ساعة من اعتداء اسرائيل ، وقبل اعتداء بريطانيا وفرنسا بثمانية وأربعين ساعة . .

وكانت تقارير المخابرات التى وصلت الى البيت الأبيض تقول ان اسرائيل ، ستعتدى على مصر لا على الأردن ، وأن بريطانيا وفرنسا تنويان الاعتداء على قناة السويس ، الا أن مصدر هذه المعلومات لم يستطع أن يحدد فى تقرير المخابرات الى البيت الأبيض ، موعد الاعتداء أو تاريخ الانذار البريطانى الفرنسى ، وهكذا جاءت الأحداث سريعة وعلمت أمريكا فى ٣٠ أكتوبر بالانذار البريطانى الفرنسى الذى وجه الى مصر فى نفس اليوم . ولذلك أرسلت انذارها السريع الى اسرائيل والى رعاياها من الأمريكيين الذين يعيشون فى الشرق الأوسط ، وفيه نصحتهم بمغادرة هذه المنطقة » .

وينتهى كلام الصحيفة عند هذا الحد ولنا أن نتساءل عن الأثر الخطير الذى سيتركه عجز المخابرات الأمريكية عن احراز أى نجاح ، اننا نخشى أن يصبح هذا الفشل بمثابة مركب نقص تعانى منه

السياسة الأمريكية وتحاول أن تغطى فشلها باستنتاجات توهم العالم والعرب بها أنها يقظة قادرة وأن نفوذها قوى فتتورط فى مشروع عاجز كمشروع ايزنهاور .

فى هــذا المشروع حاول ايزنهــاور أن ينسب الى بلاده يدا باعتبارها صاحبة فضل فى وقف العدوان على مصر ( كذا ! ) وقرن ذلك بشبه اعتذار منه لدولتى الاستعمار عن موقف أمريكا التى اضطرت الى أن تقفه ، ولم يفته أن يشيد باستجابة كل من انجلترا وفرنسا لقرار وقف اطلاق النار ، نظراً لأنهما يكنان للبشرية الاحترام اللائق وكأن العدوان الدائر على أشده فى اليمن .. وكأن العدوان المزمن الذى طال به الأمد فى الجزائر ليس اعتداء على البشرية !

والواقع أن بيان ايزنهاور أوضح أهمية الشرق الأوسط فى انتاجه لثلثى بترول العالم ، وموقعه من آسيا وأوربا وأفريقيا ، والحرص على استغلال أسواق الشرق الأوسط لتصريف منتجات الغرب ، وتهديد كيان حلف الأطلنطى ، ومشروع مارشال والتأثير البالغ على اقتصاد أمريــكا وأوربا ومستقبلها السياسى وموقف أمريكا بعد العدوان على مصر .

والأمر الشديد الخطورة ، البارز الوضوح هو أن البيان قد تحدث عن منطقة الشرق الأوسط باعتبارها منطقة نفوذ غربى ، حدث فيها فراغ نتيجة لتدهور النفوذ البريطانى والفرنسى ممــا يحتم على الولايات المتحدة معه أن تقوم بملء هــذا الفراغ كى تسيطر على المنطقة .

وليس هذا فحسب هو أبرز ماتضمنه مشروع ايزنهاور . .

فقد تضمن هجوما عنيفا على الاتحاد السوفيتى ، هدف من ورائه الى اظهار روسيا بمظهر الخطر الرئيسى الذى يهدد كيان واستقلال دول منطقة الشرق الأوسط ، ونسى البيان — أو تناسى — أن هناك أوضاعا أكثر خطورة على حريات شعوب هذه المنطقة كالاستعمار الغربى والأطماع الصهيونية . .

وعلى ضوء هذه السياسة التى حاولت أن تكسب الغرب حقوقا ليست له .. استغل البيان موقف الولايات المتحدة من العدوان على مصر باظهار أمريكا بمظهر الدولة الراعية لحريات الشعوب الصغيرة فى الوقت الذى تجاهل فيه سيادة دول المنطقة وحقها فى الدفاع عن نفسها تجاهلا تاما ، ولم يفته بالطبع أن مستقبل هذه الدول على ضوء مصالحها الخاصة .

وأوضح البيان خطورة فقدان الغرب لمنطقة الشرق الأوسط الغنية بثرواتها البترولية ، الفريدة فى موقعها الذى تتحكم به فى خطوط المواصلات بين الشرق والغرب ، وما لذلك من أثر مباشر خطير على كيان واقتصاديات دول غرب أوربا .

ولكن الأمر الأكثر أهمية ، والذى يجدر بنا أن نوجه اهتمامنا اليه ، هو ذلك المسلك الذى سلكه أيزنهاور والأسلوب الملتوى الذى كان سبيله الى التعبير عن أهدافه الحقيقية ليعطى لنفسه ثغرات يتمكن معها من اجادة المناورة . والتدخل حسب الظروف .

فاذا تساءلنا بعد ذلك ، وبعد أن استعرضنا ماهية نوايا وأغراض أمريكا التى أبرزها بوضوح مشروع أيزنهاور ، حق لنا أن نتساءل:

هل كان سفر ريموند هير السفير الأمريكى فى مصر الى واشنطن مبعثه الرغبة فى تدارك ما أفسدته وزارة الخارجية الأمريكية التى يحلو لها أن تفرض وصايتها على هيئة الأمم المتحدة .. أقول هل ذهب هير ليتدارك تصحيح الأوضاع ؟

وفى هذه الحالة ماذا سيكون مصيره ؟

هل سيذهب هير فيواجه بالاتهام التقليدى أنه صديق العرب. هذا الاتهام الذى أطار من قبل هنرى بايرود .

على أية حال فاننا نرجو أن تتطور السياسة الأمريكية لتساير تطور الشعوب ، لا لتكون أسيرة للملفات والسجلات القديمة التى تكدست فى وزارتى الخارجية الأمريكية والانجليزية ، والتى تظن أمريكا أنها تستمد معلوماتها عن الشعب المصرى من خلال سطور هذه التقارير .

وحقيقة أخرى نحب أن نسجلها ونرجو أن تعيها أمريكا .. هى أن العالم اذا كان لا يزال يتمتع بالسلام فلان مصر هى التى حملت عبء التضحية لتنقذ العالم من ويلات حرب عالمية ثالثة .

وافتدت المدينة المصرية الباسلة « بور سعيد » بأبنائها سلام العالم

وهكذا استطاعت مصر أن تمنع الحرب العالمية قبل لشوبها

ان جمال عبد الناصر ، الذى وصف بأنه عمـــلاق ، قد علم الشعب المصرى كله كيف يكون شعبا من العملاقة ، وبفضـــل سياسته الحكيمة الواعية تحولت شعوب منطقة الشرق الأوسط الى عمالقة مكافحين .

وستمضى شعوب الشرق الأوسط قوية مؤمنة بوجودها وبحقها فى أن تحيا الحياة التى تتفق والطفرة التى وثبتها . ولن يستطيع أحد أن يجعلنا نؤمن بفراغ فى بلادنا لا وجود له .

# الفصل الرابع عشر

## مشروع أيزنهاور والسلام العالمى

كان السبب الظاهر للعدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى على مصر هو تأميم شركة قنال السويس ولكن الحقيقة أن هذا العدوان كان خاتمة المطاف بالنسبة لمشاريع المستعمرين فى هذه المنطقة ،ففى مستهل هذا القرن كانت هناك مشاريع سوريا الكبرى والهلال الخصيب ، وحديثا كان هناك أخطر هذه المشاريع ونعنى به حلف بغداد .

وقد لعبت مصر دورا هاما فى تجميد هذا الحلف وفضحه ومنعه من الامتداد ، واتخذت الثورة المصرية خطا وطنيا واضحا لسياستها فى المجال الدولى مبنى على أساس مبادىء مؤتمر باندونج.

ولأول مرة فى تاريخ بلادنا رأينا حكومة تحرر اقتصادها وتجارتها من الأسواق الاستعمارية ، ولأول مرة كذلك اشترت حكومة الثورة السلاح من الاتحاد السوفيتى ، بدون قيد أو شرط .

ومثل هذه السياسة لاتروق للمستعمرين الذين كانوا يفرضون ستارا حديديا حول بلادنا ويمنعونها من التعامل الا معهم حتى تظل خاضعة لسيطرتهم الاقتصادية ولذلك عندما لجأ المستعمرون الى

تجميد أموال مصر فى كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا رأينا أن مثل هذه المحاولة لخنق الاقتصاد المصرى تبوء بالفشل الذريع .

ولقد ردت حكومة الثورة فى مصر كذلك ردا ايجابيا على حلف بغداد بعقد المعاهدات العسكرية بين الدول العربية المتحررة .

وساهمت هذه السياسة الى حد بعيد فى تدعيم القوى الوطنية فى كل من سوريا والأردن حيث حطم الشعب الأردنى النفوذ البريطانى وطرد جلوب من الأردن وجاءت حكومة وطنية سارت مع سياسة مصر وسوريا .

وأخذ المستعمرون يقومون بتهديدات لارهاب مصر وسوريا واستفزازهما ، ولكن هذه المحاولات لم تجد شيئا ازاء المواقف الصلبة التى وقفتها حكومة الثورة وكانت تدعمها جميع الشعوب العربية وجميع الدول الأسيوية والافريقية الصديقة ..

ولم يبق أمام المستعمرين ازاء ذلك الا اتخاذ عمل ايجابى للقضاء على حكومة الثورة فى مصر والقضاء على الحكومة الوطنية فى سوريا وبالتالى ضرب الأردن .

ووضعت خطة ذات شقين ، الشق الأول هو الاعتداء المباشر بالطائرات والأساطيل على مصر بعد أن يئس المستعمرون من امكانية قلب نظام الحكم والاطاحة بجمال عبد الناصر .

والشق الثانى : من هذه الخطة هو تدبير أحقر وأحط مؤامرة

عرفناها للقضاء على سوريا لاعتقاد المستعمرين أن القوى الرجعية فى سوريا مازالت متجمعة وتستطيع أن تخدمهم وتحقق أهدافهم ، وبذلك رأينا جميع الخونة والمطرودين والموتورين يتجمعون تحت قيادة سيدهم نورى السعيد لضرب سوريا من الداخل ، ولكن أعين الوطنيين فى سوريا كانت تراقبهم وتحصى عليهم أنفاسهم ثم انقضت عليهم ، فوقفوا أمام محكمة الشعب فى سوريا يتلقون حكم العدالة فيهم .

أما بالنسبة لمصر فكنتيجة طبيعية للسياسة السلمية التى تتبعها حكومة الثورة ، وكنتيجة لتمسك جميع شعوب العالم بالسلام ودفاعهم عنه رأينا أن دول العدوان وقفت معزولة أمام الرأى العام العالمى الذى ثار ثورة عاتية ، وأخذ يطالب بوقف العدوان على مصر ، ولاقى المعتدون كذلك مقاومة لم يكونوا يتصورون وقوعها من جانب الشعب والجيش المصرى،مؤيدة بنضال الشعوب العربية وتضامنها مع مصر ضد العدوان ، حيث نسفت أنابيب البترول فى سوريا والأردن ولبنان وضرب نطاق فى الأردن حول القواعد العسكرية البريطانية ، كما نسفت أنابيب البترول فى ليبيا أيضا .

وقامت ثورة فى العراق ضد البريطانيين وعميلهم نورى السعيد ووضح أكثر فأكثر دور حلف بغداد فى العدوان ، وظهرت أهدافه ومراميه لجميع الناس فى منطقة الشرق الأوسط وأصبح واضحا أن النفوذ البريطانى والفرنسى لن تقوم له قائمة بعد هذا العدوان وأن العملاء والأتباع من أمثال نورى السعيد أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من السقوط .

ولقد وقفت أمريكا من الناحية الشكلية فى هيئة الأمم المتحدة ضد العدوان الاستعمارى على مصر ، وظن الكثيرون أن مثل هذا الموقف من أمريكا منبعث من دوافع انسانية أو نتيجة لاعتراضها واختلافها مع حليفتيها فى أهداف العدوان .

ولكن يجب علينا أن نتبين موقف أمريكا أكثر فأكثر بالقاء عدة أسئلة :

• ماذا كان موقف أمريكا من مصر يوم أممت شركة القنال؟

• ومن هو صاحب فكرة تدويل القنال وجمعية المنتفعين ؟

• ولماذا رفضت أمريكا الاشتراك مع الاتحاد السوفيتى فى ايقاف العدوان على مصر ، بعد أن رفض المعتدون الانصياع لقرارات الأمم المتحدة ؟

وبعد .. لماذا عارضت أمريكا العدوان ؟

لقد وضح السبب فى ذلك عندما رفضت أمريكا الاشتراك مع الاتحاد السوفيتى لوقف العدوان ، وظهر من موقفها أنها تقوم بدور الحماية الديبلوماسية لظهر المعتدين فى حين كانت طائرات حلف الأطلنطى الأمريكية تصب آلاف الأطنان من المتفجرات على مصر ..

ولقد كانت أمريكا ترمى الى اظهار بريطانيا بمظهر الدولة الضعيفة التى لاتستغنى عن معونتها ، وكانت الاحتكارات الأمريكية ترى فى هذا العدوان فرصة ذهبية لها للقضاء على النفوذ البريطانى فى الشرق الأوسط لتزحف هى وتحتل مكانه ، وكان لها ما أرادت فتراجع المعتدون أمام انذار الاتحاد السوفيتى الذى أظهرهم بمظهر

الدول الضـعيفة أو دول الدرجة الثانيـة كما يحلو للبعض أن يسميهم ، وأنهم فى حاجة الى حماية أمريكا صاحبـة السلطان والسلاح والقوة ..

ولهذا نرى أن أمريكا لم تكن لتوافق أبداً على القضاء على النفوذ الاستعمارى كعمل ، وانما كانت تسعى الى تصفية الاستعمار البريطانى واحلال نفوذها مكانه ، ومن هنا نشأت نظرية ايزنهاور — دالاس ، عن الفراغ وملء الفراغ .

ان أمريكا لاترى فى منطقة الشرق الأوسط الاحقول بترول وأماكن لاقامة القواعد الذرية .

وهكذا جاء مشروع ايزنهاور نتيجـة طبيعية لمنطق أمريكا الاستعمارى ، فالدول التى فى هذه المنطقة ينبغى ألا تتحرر ، بل يجب أن تظل خاضعة الى الأبد للاستعمار ، سواء كان هـذا الاستعمار بريطانيا أم أمريكا ..

وينقسم مشروع ايزنهاور الى شقين عسكرى واقتصادى .

ولنقرأ معا هذا المشروع ..

يبدأ ايزنهاور رسالته الى الكونجرس بقوله :

« لقد بلغ الشرق الأوسط فجأة مرحلة جديدة دقيقة من تاريخه الطويل الهام ، ففى الحقبة الأخيرة الماضية كانت فى تلك المنطقة دول كثيرة لاتنعم بالحكم الذاتى الكامل كما كان ثمة دول أخرى تنعم بسلطة عظيمة فى تلك المنطقة التى كان يرتكز أمنها الى حـد بعيد على تلك الدول الكبرى » .

ويستطرد ايزنهاور فيتحدث عن استقلال الدول وتأييد أمريكا لهذا الاستقلال ، ويمضى فيقول :

« وفى الآونة الأخيرة نشب قتال تورطت فيه دولتان أوروبيتان كان لهما فيما مضى نفوذ كبير ، فى منطقة الشرق الأوسط ، كما أن الهجوم الواسع النطاق نسبيا ، الذى شنته اسرائيل فى شهر أكتوبر قد وسع كثيرا شقة الخلاف الأساسية بين اسرائيل وجيرانها العرب ، كما أن عدم الاستقرار هذا كثيرا ماتعاظمت موجته وفى بعض الأحيان تضاعف بفضل الشيوعية الدولية » .

فاذا تمعنا فى هذه الفقرة من خطاب ايزنهاور لرأينا أن الدول التى كانت تتمتع بسلطة عظيمة فى منطقة الشرق الأوسط هى بريطانيا وفرنسا ، ورغما من وجود دول تتمتع بالحكم الذاتى الكامل فى هذه المنطقة فقد كانت هذه الدول تتمتع بسلطة عظيمة فما معنى هذا التناقض ؟

ان العراق مثلا أو تركيا أو الأردن ــ قبل طرد جلوب منها ــ كانت حسب كلام ايزنهاور تتمتع بالحكم الذاتى ، ولكنها من وجهة نظرنا نحن أبناء هذه البلاد ، فان هذه الدول تعتبر مستعمرات لبريطانيا يحكمها عملاء منها بقوة الحديد والنار .

فاذا كان ايزنهاور يريد لنا هذا النوع من الاستقلال فاننا نرفضه بشدة .

أما اسرائيل فاننا نتساءل :

- من هو المسئول عن قيامها وايجادها ؟
- ومن هو المسئول عن تدعيمها بالمال وبالمساعدات والسلاح ؟

هل هى أمريكا وحليفاتها ؟ أم الشيوعية الدوليـــة كما يدعى ايزنهاور ؟

انا لا نستطيع أبدا أن نلغى عقولنا وتفكيرنا والحقائق الساطعة أمامنا ، فاسرائيل دويلة من العصابات المأجورة أقامها الاستعمار بزعامة أمريكا ، ولا زال يمدها بالسلاح والمال والمساعدات للابقاء عليها كقاعدة للانقضاض على البلدان العربية .

وينتقل الخطاب الى التحدث عن أهمية الشرق الأوسط بالنسبة للاتحاد السوفيتى ولأمريكا ودول أوروبا الغربية ، فيقرر فى صراحة لا يحسد عليها :

« ان روسيا ليست لها أية مطامع أو مصالح فى الاستيلاء على هذه المنطقة بدليل أن السفن الروسية التى مرت فى قنال السويس فى عام ١٩٥٥ تبلغ ٤/٢٪ من مجموع السفن ، كما أن روسيا من الدول المصدرة للبترول ولهذا فهى ليست بحاجة للسيطرة على منابع البترول فى منطقة الشرق الأوسط » .

ثم يتحدث عن أهمية هذه المنطقة بالنسبة لأمريكا ودول أوربا الغربية فيقرر أن ثلثى البترول المكتشف فى العالم موجود فى هذه المنطقة ويقول :

« أن هذه الأمور تؤكد الأهمية القصوى للشرق الأوسط ، فاذا قدر لأمم المنطقة أن تفقد استقلالها ، واذا قدر لها أن ترزح تحت نير قوات أجنبية معادية للحرية ، فان هذا سيكون بمثـــابة مأساة للمنطقة ولعـــدد كبير من الأمم الحـــرة التى تصبح حياتها الاقتصادية خاضعة لما يقرب من الاختناق ، وعندها تحيق الأخطار

بأوربا الغربية حتى لكأنه لم يكن هناك مشروع مارشال أو منظمة حلف شمال الأطلنطى ، كما أن الأمم الحرة فى آسيا وافريقيا أيضا تتعرض لاخطار جسيمة ، أضف الى ذلك أن بلدان الشرق الأوسط ستخسر أسواقها التى تعتمد عليها اقتصادياتها ، وكل هذا سيكون له أسوأ العواقب على حيـاة شـعبنا الاقتصادية وعلى مستقبله السياسى » .

وحديث ايزنهاور عن أوربا الغربية وأمريكا هو بيت القصيد كما يقولون .. وايزنهاور يقول أنه اذا قدر لهذه المنطقة أن تقع تحت نير قوات معادية للحرية .

ونحن نتساءل :

ماهى هذه القوات ؟

انه يعترف أولا أن روسيا ليست لها مصالح فى الشرق الأوسط وبالتالى فهى لاتسعى للسيطرة عليه ..

ثم يعود ليتحدث عن القوات المعادية للحرية .

ولا شك أن القوات الفرنسية التى تذبح شعب الجزائر الذى يكافح من أجل حريته ، وقوات بريطانيا التى تصب النار والموت على شعب اليمن وعدن والمحميات وتحمى نورى السعيد وهو ينكل بأبناء العراق .. جميع هذه القوات تعتبر — فى نظر ايزنهاور — مناصرة للحرية لأنها قوات دول غربية !

أما أهمية بترول الشرق الأوسط بالنسبة لأوروبا الغربية ، فنحن ندرك مدى أهميته تماما . .

ولكننا نتساءل :

• هل ارتفع فى يوم من الأيام شعار منع البترول عن هـذه الدول ؟

اننا نعلم أن مثل هذا الشعار لم يرفع ، ومانسعى اليه هو أن تتعامل مع هـذه الدول على قـدم المساواة ، لا أن نترك هذه الدول تنهب هذا البترول وتسلبه من بلادنا لتغتنى وتصنع الطائرات والأساطيل وتعود لتضربنا بها فى بور سعيد وغزة .

أما ادعاؤه بأن حياة الشعب الأمريكى تعتمـد على الشرق الأوسط فهو ادعاء باطل من أساسه ، فانالذين يريدونهذا البترول حفنة من الرأسماليين الأمريكان . .

ثم ينتقل ايزنهاور الى الحديث عن العدوان على مصر فيمتدح المعتدين بشكل وقح وسافر فيقول :

« وقد استطاعت الأمم المتحدة أن تصل الى وقف اطلاق النار وانسحاب القوات المعادية من مصر لأنها كانت تتعامل مع حكومات وشعوب تكنقدرا كافيامنالاحترام لآراء الانسانية،كماانعكست هذه الآراء فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة » .

وهذا المديح ، وهذا الثناء لأخلاق المعتدين يزيدنا يقينا وايمانا بأن أمريكا كانت على علم بتدبير العدوان على مصر يوم سـحبت رعاياها فى ٢٧ أكتوبر ١٩٥٦ من مصر ، أى قبل العدوان بيومين .

ولو كانت الدول المعتدية تكن احتراما كما يدعى ايزنهاور لآراء الانسانية لما أقدمت على اقتراف هذا الجرم القذر .

اننا نريد أن يرى ايزنهاور بور سعيد وغزة والعريش وخان يونس ليدرك مدى احترام حلفائه لمبادىء الانسانية .

ويستطرد ايزنهاور فى رسالته ، فيتحدث عن السلام ومساعى الحكومة الأمريكية للمحافظة عليه ، فيذكر التصريح الثلاثى لعام ١٩٥٠ الذى رفضته شعوبنا يومها وأعلنت عــدم اعترافها به ، والذى نقض حتى من المستعمرين أنفسهم بعدوانهم على مصر ، ثم ينتقل بعد ذلك الى الدفاع الحار عن دول حلف بغداد فيقول : فيه أن أى تهديد لحرمة أراضى ايران والعراق وباكستان وتركيا أو لاستقلال هذه البلدان السياسى ستنظر اليه الولايات المتحدة بمزيد الخطورة » .

وبهذا يكشف الرئيس ايزنهاور عن مفهوم الاستعمار الأمريكى للسلام ، وهو يرتكز على دعائم حلف بغداد العدوانى . . هــذا الحلف الذى حاربناه ولازلنا نحاربه لأنه يتعــارض مع الأمانى الوطنية لبلادنا ويزيد من خطورة الحرب ويقضى على السياسة التى تتبعها مصر وسوريا والأردن والسعودية واليمن .

وعلى هذه الأسس يطلب ايزنهاور من الكونجرس الأمريكى السلطة التى تخوله حق استخدام القوات الأمريكية فى الشرق فى حالة وقوع عدوان مباشر أو غير مباشر ، ويتحدث الرئيس الأمريكى عن العدوان غير المباشر فيقول :

« وقد علمتنا التجارب أن العدوان غير المباشر نادرا ما يصيب نجاحا اذا كانت هناك ضمانات معقولة ضد العدوان المباشر ، وحيث يوجد تحت تصرف الحكومة قوات أمن مخلصة » .

ومعنى هذا الكلام أن المشروع الأمريكى يرمى الى دعم موقف الحكومات الرجعية كالحكومة العراقية ، فاذا ثار الشعب العراقى مطالبا بحريته من عصابة نورى السعيد ، فان هذا العمل فى نظر ايزنهاور يعتبر هجوما شيوعيا غير مباشر ! يحق للحكومة الأمريكية بموجبه أن تسوق أساطيلها وطائراتها لتأديب الشعب الذى لايفهم الحرية كما يفهمها ايزنهاور ودالاس .

فقول ايزنهاور أنه يؤيد الأمم المتحدة لانستطيع أبدا أن نثق فى مدى صحته ، بعد أن رأينا مدى احترام حليفتيه لهذه الهيئة وقراراتها . .

أما مشكلة فلسطين فنحن نعلم من الحقائق الواقعة أن اسرائيل دويلة من العصابات قامت باغتصاب أرض فلسطين وطرد شعبها بمساعدة أمريكا خاصة ، والدول الاستعمارية الغربية عامة ، ولا زالت هذه الدويلة تعيش على تبرعات أمريكا ومساعداتها وأسلحتها .

ونحن ننظر الى اسرائيل والاستعمار ككل لاينفصل أبدا ، فليست هناك اسرائيل بدون استعمار ، وتجاربنا السابقة تؤيد هذه الحقيقة ونضالنا للقضاء على الاستعمار خالق اسرائيل هو بطبيعة الحال نضال للقضاء على اسرائيل نفسها .

أما تصريحات دالاس عام ١٩٥٥ وغيرها من المشاريع الأمريكية فقد كانت ترمى الى التسليم بسياسة مايسمى بالأمـر الواقع ، وتهدف الى اسكان اللاجئين خارج أرضهم الشرعية .

وهذه المشاريع يعرف ايزنهاور رأينا فيها مقدما ومنذ نشوئها وعرضها علينا ، فليس معقولا الآن أن نقبل اليــوم ما رفضناه بالأمس .. ولا مجال للمساومة على هذه المشاريع .

وقضية فلسطين وملابساتها معروفة لنا جميعا ولكن أهم مافيها الآن هو مماطلة عصابات الصهيونية فى الانسحاب من قطاع غزة ومنطقة شرم الشيخ ، فمنذ انشاء اسرائيل ، وأمريكا تسعى لفرض صلح بينها وبين العرب حتى تتخذها قاعدة تسبطر منهاعلى أسواق البلاد العربية وتستغلها .

ولــكن جميع مشاريع أمريكا بشأن الصلح فشلت بنضالنا الهائل ضدها .

والآن تعود هذه الاحتكارات الى تشجيع اسرائيل على عدم الانسحاب من قطاع غزة لتســتغلها كورقة رابحــة فى الضغط والمساومة لفرض هذا الصلح مع العلم بأن قرارات الأمم المتحدة نصت على انسحاب اسرائيل دون أية شروط ، ولكن هذه القرارات لم تنفذ حتى الآن ولازالت اسرائيل ترتكب أبشع الأعمال الهمجية ضد أهل هذا القطاع ، كما ظهرت نغمة جديدة عن بقاء البوليس الدولى فى منطقة غزة لفرض الصلح وتدويل القناة .

ولكن هذه المشاريع مرفوضة رفضا لاجدال فيــه من جانب شعوبنا . فيجب على اسرائيل أن تنسحب فورا وبدون ابطاء من كل شبر احتلته من غزة والأراضى المصرية ، ويجب على البوليس الدولى أن يترك هذه المنطقة بعد انتهاء مهمته فى الاشراف على الانسحاب ولن نقبل مساومة فى هذا الصدد .

واذ تفرغ من الشق السياسى للمشروع ، تتجه الى الشــق الاقتصادى منه ، وهو الذى يقول الرئيس ايزنهاور عنه فى خطابه :

« انه يريد مبلغ ٤٠٠ مليون دولار لمساعدة دول منطقة الشرق الأوسط اقتصاديا » .

وفى خطاب دالاس أمام الكونجرس يقول :

« ان هذه المساعدة ستعطى للدول التى تتعهــد بمناهضــة الشيوعية الدولية » .

هذا فى حين أن أمريكا تجمد مبلغ ٥٠ مليون دولار من أموال مصر وتمنع عنها القمح .

والدول التى قبلت المساعــدة الاقتصادية لأمريكا كتركيا واليونان ماثلة أمامنا الآن فلنلق عليها نظرة سريعة لنرى اقتصاد هذه الدول منهار وفى عجز مستمر .

فالعجز فى ميزانية تركيا عام ١٩٥٥ بلغ ١٦٠ مليون ليرةتركية ، وتركيا التى كانت الى عهد قريب احدى الدول المصدرة للحبوب تضطر الآن الى استيراد القمح من أمريكا لكفاية سكانها ، هذه هى نتائج المساعدة الأمريكية .

أما شروط اعطاء هذه المساعدة للدولة التى تتعهــد بمناهضة الشيوعية الدولية واتباع سياسة أمريكا ، فان ذلك يعنى أنتتخلى عن السياسة الوطنية التى نسير عليها وأثر هذه السياسة فى توجيه اقتصادنا الوطنى لرفع مستوى الشعب ، أما السياسة الأمريكية التى تريد أن تفرضها علينا فهى سياسة الأحلاف والحرب الباردة والتهديد بالخطر الشيوعى لتوجيه اقتصادنا الى الحرب وصرف

معظم ميزانياتنا من أجل التسلح المشروط من أمريكا ، وما يتبع هذه السياسة بطبيعة الحال من تدمير لاقتصادنا وانحطاط أكثر فأكثر فى مستوى معيشة الشعب .

ان سياستنا سياسة البناء لا الهدم ، والسلام لا الحرب . . والمبادىء التى دافعنا عنها بأرواحنا فى معركتنا الكبرى ضد العدوان الثلاثى ، هى المبادىء التى نؤمن بها والتى لا يمكن أن نحيد عنها . .

ان مصر والشعوب العربية كتلة واحدة ، هدفها واضح ، وطريقها مرسوم ، وخططها وسياستها ، انما تنبع من صميم حاجتها، وعلى أساس استقلالها التام . .

# الفصل الخامس عشر

## لماذا لم تنسحب إسرائيل

« نحن اليهود .. لسنا شيئا الا مفسدى العالم ، ومدمريه ، ومرتكبى الفتنة فيه ، وجلاديه » !

**« اوسكار ليفى »**

اتخذت الجمعية العامة منذ يومين قرارا بسحب القـوات الاسرائيلية من أراضى مصر دون ابطاء ..

وبالرغم من أن هذا ليس أول قرار يتخذ فى هذا الصدد ، فان قوات اسرائيل لاتزال تحتل الأراضى المصرية ، رغم أن جميع بلدان العالم — باستثناء فرنسا — تطالبها بأن ترضخ لارادة الأمم المتحدة ، لكنها تستهتر بهذه الارادة ، وتنتهك قرارات الجمعية العـامة .

واللهجة التى تتحدث بها الصحف الاسرائيلية الآن ، تنبىء بأن اسرائيل لا تنوى أن تنفذ هذا القرار ، ولا أن تقوم باجلاء قواتها عن أرض مصر ..

وفى هذا الصدد تقول جريدة لامرحاب الاسرائيلية بمنتهى الوقاحة « ان نضالنا لايمكن أن يكلل بالنجاح اذا نفذنا الانسحاب العاجل هذا » .

وتمضى الصحف الاسرائيلية الأخرى فتقـول فى صراحة :

« ان الأوساط الحاكمة فى اسرائيل ، اذ ترفض اليوم بعناد أى انسحاب من الأراضى المصرية ، تجد كل المؤازرة فى سياستها هذه من جانب أمريكا » .

ولا تنفرد الصحف الاسرائيلية بهذا القول فحسب ، بل اننا لنجد صدى له فى صحيفة كبرى « كالنيويورك تيمز » الأمريكية عندما تقول : « انه قد يكون من المنتظر أن تقوم أمريكا بالضغط على اسرائيل واجبارها على الانسحاب من مصر » ..

غير أن الواقع ليس كذلك فالملاحظ أن أمريكا اذ تصوت بين جدران الأمم المتحدة ــ هذا المنبر الدولى ــ بجلاء اسرائيل من أراضى مصر ، انما تفعل ذلك لتضليل الرأى العام العالمى ، اذ الواقع أن واشنطن تقوم خارج الأمم المتحدة بتشجيع اسرائيل ومؤازرتها ، وهنـــاك وقائع عديدة تثبت ذلك ، فقد كانت أمريكا تعرف سلفا العدوان الذى أعدته اسرائيل على مصر ، ومع ذلك فانها لم تخط خطوة واحدة لوقف هذا العدوان ، بينما كان ذلك فى متناول أيديها ، اذ من المعروف للجميع أن اسرائيل بلاد تابعة تماما للولايات المتحدة سياسيا وعسكريا ، بل نستطيع أن تقول أنها تعتبر الولاية الأمريكية التاسعة والأربعين !

ولكن ، لنترك التاريخ الذى لايجوز اهمال دروسه ، ولنرجع الى الوقائع ولنأخذ مثلا الجلسة التى بحثت الجمعية العامة فيها مسألة سحب القوات الاسرائيلية من مصر ، ولقد تكلم فى هذه الجلسة ــ كما هو معروف ــ المندوب الأمريكى ، وكى يكسب

أصوات المندوبين بشأن مشروع توزيع قوات الأمم المتحدة فى منطقة شرم الشيخ .

تولى لودج حماية المعتدين الاسرائيليين حينما طالب باعطائهم ماسماه بالضمانات ، وخطاب لودج هذا لايترك مجالا نلشك فىأنه كان يقترح على الجمعية العامة أن ترضخ لطلبات اسرائيل الوقحة، وتدفعها الى الطريق الخطر ، طريق تشجيع العدوان والقضاء على مصالح مصر الحيوية .

ومن المؤكد أن بقاء الجيوش الاسرائيلية فى مصر يعكر الجو السياسى فى هذه المنطقة ويحمل خطر نشوب نزاع عسكرى جديد .

كما تدل الوقائع على أن أمريكا فضلا عن أنها تأبى أن تساعد فى حل هذه المشكلة تعمل على عرقلتها ، مستغلة فى ذلك صنيعتها اسرائيل ، كحجة للتدخل فى شئون مصر وسائر الأقطار العربية، وفرض مبدأ ايزنهاور عليها .

وأمريكا تشجع اسرائيل على القيام بمغامرة خطيرة على قضية السلام وعلى اسرائيل نفسها ، ولكنها لم تستفد من دروس العدوان الانجليزى الاسرائيلى — الفرنسى على مصر ، رغم أن هذا العدوان ملىء بالعبر !

ان بقاء قوات الأمم المتحدة فى شرم الشيخ ان هو الامحاولة غير مشروعة لاستخدامها فى أغراض غير شرعية ، وقد فشل مندوب الأمم المتحدة فى تعزيز هذه الآراء بحجة مقنعة .

لقد سبق أن قرر المجلس فى العام الماضى أن هذه القوات تخل

مما جاء فى ميثاق الأمم المتحدة ، فى الفصل السابع الذى يقول أن من حق مجلس الأمن وحده انشاء قوة عسكرية دولية وهذا ليس من حق الجمعية العامة .

ولقد انقضت ثلاثة شهور بعد اتخاذ القرار ، الذى أنشئت بمقتضاه هذه القوة العسكرية .

ويقترح مندوب أمريكا الآن علنا بأن تتخذ الجمعية العامة قرارا باستخدام هذه القوة لاحتلال جزء من الأراضى المصرية على الخطوط التى تفصل اسرائيل عن مصر لمدة غير محدودة ، بل ان بعض ممثلى الدول قد اقترحوا أيضا اضافة منطقتى غـزة وشرم الشيخ أى الجزء الذى تحتله اسرائيل الآن .

وكان الرد على ذلك أن حق استخدام القوة المسلحة متروك لمجلس الأمن وحده ، اذ أن اتخاذ قرار مثل هذا يعنى دفع القوات فى اتجاه سينجم عنه انهيار الأمم المتحدة .

وكان واجب الأعضاء هو التمسك بنصـوص ميثاق الأمم المتحدة بأمانة واخلاص ، خاصة وأن مندوب الولايات الأمريكية المتحدة يستخلص من القرار أنه من الواجب توزيع قوات الأمم المتحدة فى مناطق أخرى غير خطوط الهدنة أى فى منطقتى غزة وشرم الشيخ .

ولا يتعذر علينا أن نفهم أن استخدام قوات الأمم المتحدة فى مصر ، بما فى ذلك الأجزاء القريبة من سيناء ، لها أهداف بعيدة المدى ، فهى جزء من نظرية ايزنهاور التى تنطوى على تدخل

صارخ من الولايات المتحدة فى الشئون العربيـــة بما فى ذلك التدخل العسكرى .

الا أن أغراض الولايات المتحدة وأهدافها ترمى الى الضغط على مصر لتسوية مسائل حيوية لها ، بما فى ذلك مشـــكلة قناة السويس ، فضلا عما ترمى أمريكا اليه من الضغط على الدول العربية ، متفقة بذلك مع السياسة الاستعمارية الجديدة التى تمثلها الدوائر الأمريكية الحاكمة وهى تحاول محاولة جـديدة لاستخدام الأمم المتحدة وقواتها لتغطية تدخلهافىالشئونالعربية .

والخطر هنا أنه اذا ماسلكت الأمم المتحدة هذا السبيل فان الدول الأعضاء وخاصة الصغيرة منها ــ قد تتعرض فى أى وقت من الأوقات للتدخل العسكرى الأجنبى متسترا تحت راية الأمم المتحـــدة !

ولنا الآن أن نتساءل :

هل هذه المسألة وهذا الموقف من أمريكا ســيكون بمثابة القشة التى تقصم ظهر البعير ؟

وهل ستكون هىالتىتقضىعلىهيبة أمريكا وسمعتها العالمية؟

وهل يمكن أن نقول أن مساندة أمريكا لاسرائيل،هى بغرض الوصول الى صلح تعقده مع الدول العربية تحتضغطأمريكى..

أم هى مؤامرة لابادة القومية العربية ؟

ان السكوت .. هذا السكوت الصارخ على مافعلته اسرائيل فى سينا يدفعنا مرة أخرى الى التساؤل .. لو أننا نحن الذينأنزلنا بأرض دخلتها قواتنا من قتل ودمار وتخريب ما أنزلته اسرائيل

بسيناء وفى كل بلد دخلته قواتها .. هل كان الغـرب ومدمروه يسكت على ذلك ؟

نستطيع أن نجيب .. كنا سنظل أبد الدهر يدمغنا هذا العار .

ان خير مايمكن أن نختتم به تساؤلنا .. بل نختتم به هـذا المقال هو ماقاله اليهودى أوسكار ليفى :

« نحن اليهود لسنا شيئا الامفسدىالعالمومدمريه ومرتكبى الفتنة فيه وجلاديه » .

ختام .. ليس بعده ما يقال !

# أخطاء السياسة الأمريكية

حدثت أمور كثيرة منذ أن كتبت اليكم آخر مرة من استامبول، الا أن أغلب هذه الأمور كان متوقعا حدوثه ولا يحتاج الأمر الى منظار مكبر ليرى المرء أن الحرب ستقع فى هذه المنطقة اذا مضت اسرائيل فى سبيلها العدوانى الذى تسلكه منذ ثمانى سنوات ..

وقد يكون هذا القول عسير القبول فى الولايات المتحدة الا أن أنباء الأمم المتحدة تصور ذلك فى وضوح ..

كانت الغزوات التى تنطلق من اسرائيل تحمل طابعا عسكريا وتكون جزءا من سياسة الحكومة ، أما الغزوات التى كانت تأتى من جانب العرب على خطوط الحدود ، فكانت حتى ربيع عام ١٩٥٥ يقوم بها أفراد أو مجموعات صغيرة تعمل بمعزل عن قانون البلد التابعين لها .

وقامت اسرائيل بعدة غزوات منـــذ ٢٨ فبراير عام ١٩٥٠ ، وكان لابد من مقابلة هذا التحدى ، وحتى ذلك الوقت كانت مصر تسيطر على الموقف كى لاتستطيع اسرائيل أن تحقق رغبتها فى أن ترد احدى الدول العربية عليها ، باجتياز الحدود بقــوة حربية وبذلك تجد اسرائيل ما تستند اليه للقيام بحرب لتوسيع نطاقها .

ولكى أعطيكم فكرة عما كانت تسعى اليه اسرائيـــل لخلق

ذريعة ، تذكرون أنه فى الوقت الذى غادرت فيه القدس منذ عامين . كان يقتل أربعة من العرب فى مقابل اسرائيلى واحد ،وكان ذلك نتيجة اجتياز الحدود ، واطلاق النار عبر الخطوط ،ولايدخل فى حسابه العرب الذين أعدموا لتسللهم داخل اسرائيل ، وخلال العامين الماضيين — حتى عشية الهجوم الفرنسى — البريطانى — الاسرائيلى — زادت اسرائيل النسبة الى حد أنها كانت تقتل عشرة من العرب فى مقابل اسرائيلى واحد .

وانى أراهن بكل ما أملك لو استطاع أى شخص أن يثبت لى أننا لم نساهم بطريق مباشر فى تعكير الجو فى الشرق الأوسط ، بهذه الطرق :

- بموازنة اسرائيل ضد العرب كافة فى الشرق الأوسط .
- بالتحدث عن توازن القوى العسكرية ، فى حين كنا نعلم أن اسرائيل على درجة من التفوق تتيح لها الأمن التام على حدودها .
- وبأننا كنا نتزعم باستمرار حركة تلطيف ادانة اسرائيل فى الأمم المتحدة بعد هجماتها الكبيرة .

- ولأنناكنا لانحبذ،بل نتجاهل آراءالجامعة العربيةالسياسية .
- كما كنا لانعترف بحقيقة أنه لايوجد لنا فى الشرق الأوسط منطقة تتعارض من حيث المذهب مع الشيوعية .
- وأخيرا ، اننا انتظرنا حتىوقوعالعدوان الفرنسىالبريطانى الاسرائيلى لنظهر للعالم أننا لازلنا نتمسك بالمثل العليا التىجعلتنا عظماء .

وليس لديكم فكرة عن كيف تعتبر الأمم ـ التى تسعى الآن الى اظهار شخصيتها ـ أمريكا قدوة لها .

وعلى الرغم من أن اسرائيل كانت فى طليعة الحرب ، الا إن الغدر الفرنسى البريطانى لا يزال مستحيل التصديق ، وبصرف النظر عما يصوره الفرنسيون والبريطانيون ، فان ثمة أدلة كثيرة على التواطؤ ..

ولا ينكر أحد الآن أن طيارين فرنسيين ، قد استخدموا فى طائرات اسرائيلية ، وهنالك شائعة تقول بأن بعض القوات الأجنبية الفرنسية ، قد وصلت الى قناة السويس برا من اسرائيل وانى أحاول التحقق من هذه الاشاعات ، وعندما زعم ايدن أنه كان يسعى فقط الى فصل الفريقين المتحاربين ، بانزال قواته على قناة السويس ، كان يعتقد أن الدعاية ستروج زعمه ، ولكنه جعل نفسه مثار السخرية .

والأمر الذى لاشك فيه أن الطائرات الفرنسية ، كانت تمد وتمون القوات الاسرائيلية فى سيناء ، وكانت ضربة قاصمة لهيبة ومكانة الدول الغربية ، اذ استخدمت فرنسا عتاد حلف الأطلنطى!

والعالم العربى كله على يقين من أنه كان هنالك تواطؤ ، حيث أن القوات الفرنسية والبريطانية التى تدخلت ، هاجمت مصرفقط، مع أن اسرائيل كانت هى المعتدية ، وقد تأيد هذا التواطؤ كثيرا بأقوال الذين غادروا اسرائيل ، وأبحروا فى نفس السفينة مع الأشخاص الذين غادروا مصر ، فقد قال هؤلاء أنهم شاهدوا فى شوارع تل أبيب وحيفا، جنودا فرنسيين قبل وقوع الهجوم الاسرائيلى!

ولقد قامت الحكومة المصرية بعمل جليل فى العناية باللاجئين من بورّ سعيد ، ومع أن أمريكا قد قامت عن طريق أفرادها وجهود هيئاتها ، بأعمال تنطوى على العطف ، كانت جميعها موضع تقدير ، الا أنه من الواضح أننا نعمل بمعيار مزدوج من العطف ، وانى أعلم أن ثمة صعابا ظلت تعترض طريق شحن أطعمة زائدة وارسال خيام وبطاطين من أمريكا الى مصر ، وكان من الممكن لطائرة واحدة فقط محملة بالخيام والبطاطين أن تنتج الكثير فى سبيل توطيد صداقة الولايات المتحدة مع الشرق الأوسط ، خصوصا اذا كان ارسالها يدل على عمل من جانب الحكومة . أما حسب الوضع الحالى ، فقد قدمنا للشيوعيين فرصا عديدة ، فحينما أرادت مصر أن تشترى قمحا بالجنيه المصرى أعرضنا عنها ، وسارعت روسيا بارسال سفينتين كبيرتين مشحونتين بالقمح اليها .

قد يقال أننا لانستطيع قانونا البيع بالجنيهات المصرية ، الا أن هذه كانت حالة طارئة ، ويتعذر عليهم هنا أن يدركوا السبب الذى من أجله تمضى الولايات المتحدة فى تجميد أربعين مليون دولار من الأموال المصرية فى الولايات المتحدة !

ان الزعم بأن هذه النقود مقيدة قانونا لأنها تخص شركة قناة السويس المنحلة ، موضع الشك والنزاع هنا ، وانى أفهم أنها نقود مصرية تستخدم كتأمين لأعمال التصدير والاستيراد ، ويزعمون هنا كذلك أن الولايات المتحدة رفضت أن تبيع أو تشحن امدادات طبية ، وهم يقدرون المقدار الذى أرسل كمعونة

ولكنهم مستاءون من غير شك لعدم امكانهم رفع العجز الى مستواه العادى ، وعلى عكس هذه الصورة التى صورتها ، أتت روسيا بالقمح اللازم ووعدت بارسال الامدادات الطبية وهى الآن تعرض هنا معرضا تجاريا برسم دخول بسيط ، ولافتات ضخمة تشير الى أن حصيلة هذه الرسوم جميعها ستدفع للاجئى بورسعيد .

وانى آمل أن تكونوا قد اطلعتم على صور التدميرات التى أحدثتها اسرائيل فى سيناء ، وهى موجودة لدى مؤسسة الشرق الأوسط ، اذ قطعت قضبان السكة الحديد كل ثلاث أو أربعة أميال ، ومزقت خطوط المواصلات ودمرت المحطات ، وبعبارة أخرى ، كان انسحاب اسرائيل ماحيا كل ماعلى سطح الأرض ، ولم يكن هناك مايدعو الى ذلك ، اذ أن اسرائيل لم تلق مقاومة فى هذا الجزء من سيناء ، وقبل أن يدخل الاسرائيليون هذه المنطقة ، حاولت القوات الفرنسية والبريطانية شطر القوات المصرية شطرين ، مما أدى الى تقهقرها السريع الى ضفاف القناة .

وفيما يتعلق بغزة ، فان لدى شكوكا تتعلق بى شخصيا ، فقد طردت اسرائيل خلال الثمانى سنوات الماضية بدون مسوغ قانونى بعض العرب من الأراضى الاسرائيلية ، وكان هذا الاجراء سائدا أثناء حرب عام ١٩٤٨/١٩٤٩ .

وانى أتساءل هل اللاجئون فى قطاع غزة ، كانوا يعاملون نفس هذه المعاملة ؟

ولا زلت أعتقد أن الولايات المتحدة فى وضع يهيىء لها أن تدين علنا وفى حرية ماحدث فى مصر ، وأن تؤيد باستمرار فى هيئة

الأمم المتحدة،طلب انسحاب اسرائيل الى خطوط الهدنة لعام١٩٤٩ .

.. وانى آمل ان كل انسان هنالك يدرك الخطورة التى تحيق بسلام العالم من جراء عدم انسحاب اسرائيل من سيناء ، واعلانها عن اعتزامها الاحتفاظ بقطاع غزة .

ان اسرائيل كانت تداعب الحرب العالمية الثالثة ، أثناء عملها الأخير وأملى أن نقطع عليها السبيل الى تهديد السلام العالمى مرة أخرى ، فاننا بحاجة الى تعديل معلوماتنا عن هذه المنطقة ، فقد كنت فى اسرائيل مرات عديدة ، بل وفى الواقع كل يوم لمدة ثلاث سنوات ، وتأكدت أن الشعوب العربية تكن احتراما للولايات المتحدة اكثر مما يكنه الشعب الاسرائيلى لنا ، فينبغى أن نفرق بين الصداقة والمطامع ..

وحيال هذه الأحداث الجارية ، كنا نترقب بشغف خطاب الرئيس ايزنهاور عن الشرق الأوسط ، وقد أسعدنى كثيرا ماقاله، فلا يخامر الانسان أدنى شك فيما ينبغى أن يكون عليه موقفنا حيال الشيوعية ، وليس فى ذلك مفاجأة وأعتقد أن الكثيرين هنا لا يستاءون من هذه الحقيقة .

وعندما كنت فى روما لاحظت اشارات عديدة الى ما يسمونه «محور القاهرة موسكو» ويبدو أن هناك جهودا كبيرة تبذل لتصوير مصر كدولة شيوعية محضة ، وطوع بنان السوفيت ، وانى أنكر ذلك انكارا قاطعا .

ان مصر ليست من الدول الدائرة فى الفلك الشيوعى ، وان كان شعبها يقدر بطبيعة الحال العتاد الحربى الذى تلقته مصر من

السوفيت وانى لا ألومهم على ذلك .

ولقد قرأت فى جريدة « التايم » أن ٣٤ ألف يهــودى قد منحوا مهلة ٢٤ ساعة لمغادرة البلاد . ووصل الى علم مراسل جريدة واشنطن بوست أنّ اليهود كانوا يساقون فى شــوارع القاهرة مكبلين بالسلاسل والأغلال . ولكن صدقنى أن شيئًا من ذلك لم يحدث .

ولقد كان خطاب الرئيس ايزنهاور على حق فى المدى الذى ذهب اليه ، واليك بعض تعقيبات مبكرة على خطاب الرئيس ايزنهاور :

• هل معنى ذلك أنه يجب علينا أن نوقع على ميثاق للحصول على معونة اقتصادية ؟

• ولو صرح نورى السعيد وهو يمثل الاقلية فى العراق أنه معرض لهجوم من سوريا ، فهل تشترك الولايات المتحدة فى حرب ضد سوريا وحليفتها مصر « يعتقد الكثيرون أن هــذه شراك نصبتها بريطانيا لايقاع الولايات المتحدة » .

• هل سيطلب عقد صلح بالشروط التى تطلبها اسرائيل ، قبل منح أية معونة اقتصادية للدول العربية .

• هل يتعلق عرض المعونة الاقتصادية ، على شرط السماح لبريطانيا وفرنسا باقامة رقابة فى الشرق الأوسط .

• ماذا يكون موقف الولايات المتحدة فيما لو هاجمت اسرائيل دولة عربية ؟ « توجد هنا ريبة وعدم ثقة متأصلة بفرنسا وبريطانيا واسرائيل » .

• لماذا يعرضون معونة اقتصادية وهم لازالوا متمسكين بتجميد مبلغ الـ ٤٠ مليون دولار .

• لماذا لم يقف ايزنهاور موقفا ثابتا ضد أى عدوان ؟

وقصارى القول أن العرب لم يغتبطوا كثيرا من الخطاب ، لأنه يتغاضى فيما يبدو عن مشكلة فلسطين ، ويعنى ذلك لدى العرب شيئا واحدا ، هو أن اسرائيل ستبقى لتعامل معاملة الطفل المدلل ، على حساب العالم العربى .

وبديهى من غير شك ـ وليس أمامنا الا فترة قصيرة لنصل فيها ـ اننا لانزمع أن نربط علاقتنا مع الشرق الأوسط ببريطانيا وفرنسا ، فهيبة ومكانة هاتين الدولتين قد أصبحت فى حيز العدم ، وانى لسعيد أن تعرفنا على هذه الحقيقة فى الوقت المناسب !

وانى أدرك كأى شخص آخر ان الشيوعية لايمكن تجاهلها ، ومع ذلك فاننا لسنا بحاجة للتسلل خلسة الى مصر ، بناء على مساوىء الشيوعية ، بل فى وسعنا أن نسير اليها ونقابل فيها بترحاب بناء على فضائلنا .

وهذا هو أسرع سبيل للوصول الى تبديد الشيوعية تبديدا تاما والحط من شأنها هنا ، فليس فى وسع المرء أن يكتسب صداقة شخص آخر عن طريق تخويفه وارهابه .

وانى أعتقد أحيانا أن ممثلينا يقضون وقتا طويلا فى حفلات الكوكتيل ، دون أن يتسربوا الى الشعب ، وعبد الناصر شعبى لدى العالم العربى بأسره .

والعلاج بسيط ، والذى يتعين علينا أن نفعله أولا هو أن

تقبل اسرائيل أن نعاملها تماما مثل أى دولة فى الشرق الأوسط لا أكثر ولا أقل . .

وينبغى علينا أن نقبل وأن نبين حقيقة أن مشكلة فلسطين هى مصدر المتاعب التى مارسناها فى الشرق الأوسط ، لأننا بغير ذلك سنقصى عنا أقرب أصدقائنا من الدول العربية .

ولا شك أن الأغلبية الساحقة من العرب سيفهموننا حين نقرر « اننا لن نسمح أن تلقى اسرائيل فى البحر » ، وبشرط أن نضيف الى ذلك قولنا « وكذلك لن نسمح لاسرائيل بالتوسع » أو « يجب ايقاف الفدائيين وغزوات الاغتيال ضد اسرائيل » ، اذا أضفنا الى ذلك « ويجب على اسرائيل أيضا أن توقف غزواتها الارهابية ضد الدول العربية » ، أو « ستنزل عقوبات اقتصادية بأى دولة عربية تنتهك اتفاقيات الهدنة » اذا أضفنا الى ذلك « وستتخذ العقوبات الاقتصادية ضد اسرائيل أيضا اذا خالفت اتفاقيات الهدنة » أو « يجب أن تتساهل الدول العربية بعض الشيء للوصول الى سلام ثابت مقيم فى الشرق الأوسط » اذا أضفنا الى ذلك « ويجب أن تلين اسرائيل وتتنازل عن بعض مطالبها » ، وأخيرا من الذى تنازل سوى العرب منذ أن نشأت مشكلة فلسطين عقب الحرب العالمية الأولى ؟

أو « اننا نزمع أن تساند قرارات الأمم الواقعية ، اذا ذكرنا فى وضوح « اننا نقصد جميع هذه القرارات ، حتى تلك القرارات التى حاولت الدعاية أن تلقيها على العرب » . .

نعم وانى أقصد بذلك مشروع تقسيم عام ١٩٤٧ والاعتراف

بحقوق اللاجئين التى ذكرتها مرارا الأمم المتحدة . الا أن هـذه ليست سوى نقاط للبداية فقليل من اللاجئين يرغبون فى العودة فيما لو خيروا بين العودة والتعويض العادل ، وكذلك مشروع تقسيم عام ١٩٤٧ ، كان يتطلع الى اتحاد سياسى اقتصادى ، لم يعد ممكنا الا أنه مع ذلك يقضى بتقسيم الأراضى أكثر واقعية من الحدود الوقتية الحالية .

ونذكر أن الولايات المتحدة اعتبرت مشروع تقسيم عام١٩٤٧ مجحفا للعرب ، ودعت الى نبذه عقب اعلانه ولسوء الحظ أننا قد تحولنا عن التزامنا الأدبى بالبحث عن العدالة وهربنا الى ملجأ يحمينا من قنابل الدعاية الصهيونية .

« بتاريخ ٢٨ نوفمبر كنت فى المنزل أستمع الى اذاعة صوت أمريكا وذكرت نبأ بأن هجمات اسرائيل ضد مصر ، تولدت عن هجمات عديدة قامت بها مصر ضد اسرائيل ولم تذكر كلمةواحدة لموازنة هذه الصورة وانى أتعشم أنكم تعلمون الحقائق ، واذا كنتم لاتعلمونها ، فهاهو ماقررته الأمم المتحدة :

**كانت هنـاك هجمات قليلة من الفدائيين جندت مصر بعضها من غير شـك ، ومع ذلك فمن المعلوم جيـــدا أنه قد نسب لعبد الناصر هجمات أكثر بكثير مما هو مسئول عنها .**

بينما هاجمت اسرائيل غزة والقسيمة دون أن تسمح حتى لمندوبى الأمم المتحدة أن يقوموا ببحث الموضوع . وقتلت ثلاثة عشر عربيا وأصابت كثيرين آخرين بجروح .

**وانى أستطيع أن أفهم أن ماتنشره صحافة الولايات المتحدة**

قد تشوهه فى بعض الأحيان سياسة تحريرها ولكنى لم أستطع أن فهم ذلك من صوت أمريكا » .

ليس هذا الخطاب الذى قدمناه فى حاجة الى تعليق ،فسطوره كلها تنطق بأن كاتبه قد درس المشكلات وكان فى دراسته لها على جانب كبير من الحياد ..

اننا نذكر الولايات المتحدة هنا بقول الرئيس جمال « نسالم من يسالمنا .. ونعادى من يعادينا » .

اننا لانحمل الشر لأحد ولكننا نحمل الخير لأنفسنا وللبشرية جمعاء . . .

فهل يفهم ساسة الولايات المتحدة هذه الحقيقة وهل يعتمدوا فى رسم سياستهم على معلومات يستقونها من أناس عرفوا بالشرف والنزاهة .

ان كل مانرجوه ويرجوه الشرق عامة أن تكون الولايات المتحدة فى دراستها لمشاكل الشرق بل ومشاكل العالم أجمع دقيقة فى اختيار مصادرها .

انها اذا فعلت ذلك لعولجت مشاكل العالم على أسس من العدالة والخير . .

هذا ما نرجوه ويرجوه كل محب للخير والسلام

# الفصل السادس عشر

## حديث خطير للرئيس جمال

فى غمرة الأحداث الأخيرة وبين التكهنات التى تذهب ذات اليمين وذات اليسار ... وبين ضجيج الصحافة المغرضة ترتفع دائما أصوات الحق لتعلن صوت الشعوب فى قوة وفى وضوح وفى صراحة ..

تعرضت مصر للعدوان الثلاثى الآثم ...

وتصف دورثى طومسون هذه المقابلة وتروى حديث السيد الاستعمارية الصهيونية ، وبين هذه الدعايات المغرضة قدمت الى مصر الصحفية الأمريكية دورثى طومسون وقابلت الرئيس وتحدثت اليه ووجدت فيه بساطة نادرة وصراحة فى كل أمر من الأمور ...

وقضت دورثى طومسون هذه المقابلة وتروى حديث السيد الرئيس معها ، وقد رأيت أن يكون هذا الحديث هو خير ما أختتم به كتابى لما اتسم به من الصراحة والبساطة التى امتزجت بأهميته وخطورته .

كان موعد المقابلة – فى القناطر – محددا فى الساعة السادسة بعد الظهر ، فوصلت قبل الموعد بدقائق وأدخلت الى غرفة جلوس متوسطة الحجم تضم مكتبا كبيرا صفت فوقه ملفات من الورق المرتب ، كما تضم مقعدين كبيرين الى جانب عدد آخر من المقاعد

العادية . وقدم لى خادم هادىء زجاجة من عصير الاناناس ، وأفهمنى أنه على أن أنتظر بضع دقائق ، وفى السادسة بالضبط ظهر ناصر ..

وكان يرتدى قميصا أبيض مفتوح الرقبة وجرسا من الصوف الرمادى بلا أكمام ، وبنطلونا رماديا داكنا ، ويدا أشبه بالرجل الرياضى منه برجل السياسة ، وكانت هناك اشاعة فى القاهرة ، ضمن آلاف الاشاعات ، تقول أن الأزمة قد أنهكته ، ولكنه كان فى أحسن حال .

وعندما دخل ناصر الغرفة ومد يده ليصافحنى بحرارة وهو يبتسم ابتسامة عريضة مشرقة ، لاحظت أن خطواته كانت نشيطة ، وأن عينيه كانتا تلتمعان وأن تصرفاته كانت طبيعبة وصريحة بصورة جذابة . ومهما يكن من أمر عبد الناصر فهو ليس بالرجل الذى يتكلف فى ملبسه وهو لايوحى قطعا بالتكلف كما أنه يثير بالغ الاعجاب .

لقد قابلت أكثر من دكتاتور ، موسولينى بعبوسه المخيف وجو العظمة الرومانية الذى يحيط به ، وهتلر الذى كان من المستحيل التحدث اليه على الاطلاق ، فقد كان دائم القلق، يتحدث فى شبه غيبوبة كما لو كان يخاطب ٥٠٠٠ شخص فى قاعة . ولم يكن أحدهما — هتلر أو موسولينى — ليقبل الاعتراف بأنه يمكن أن يخطىء ، أما جمال عبد الناصر فهو يقر ببساطة أن من الممكن أن يحدث هذا ، بل ومن المحتمل أن يكون قد حدث .

وفى خلال الساعات الثلاث التى قضيتها معه ، أحسست احساسا قويا ، مما قاله ، ومن الطريقة التى كان يتحدث بها أنه

رجل تغلب عليه العاطفة والاحساس .. لقد شعرت أنه رجل « يحب » أكثر مما « يكره » ، وأنه يود كثيرا لو أن الناس أحبته . انه عربى بكل مافى الكلمة من معنى ، فهو شأنه شأن الكثير من العرب الذين عرفتهم ، ميال بالفطرةالىالكرموالمجاملة، وهو شديد المراس ، وان كان فى نفس الوقت بريئا ( وفى معرض حديثى معه وصف الشعب المصرى عدة مرات بالطيبة والبراءة ) .

وكان مما قاله الرئيس وكرره عدة مرات « ان الشعب طيب وبرىء ، ولكن الذين ارتقوا أكثر من مرة الى أعلى المناصب لم يكونوا طيبين ، وأنه لمن السهل أن يجد المرء مائة رجل خبيث عن أن يجد رجلا فاضلا واحدا » .

ولما سألت ناصر : « ماذا تقصد بالطيب والخبيث ؟ » أجاب:

ــ أقصد بالخبيث الرجل الانتهازى أو أولئك الذين يعملون لأنفسهم فقط ، أما الطيبون فانهم أولئك الذين يعنون حقابالشعب وبرفاهيته ، ويضعون هذه الأمور فوق كل اعتبار وهؤلاء من الصعب وجودهم .

ويقول بعض الناس أن النظام الحاضر قد صد الرجال المجربين ، ومن ناحيتى أفضل التعاون مع رجل أمين مهما كان عديم الخبرة والتجارب عن العمل مع هؤلاء الذين سارعوا بأن وضعوا أنفسهم تحت تصرف الثورة ثم أثبتوا سريعا أنهم انتهازيون » .

وهنا أبديت ملاحظة ــ متذكرة ماقاله لورد اكتون ــ ان السلطان يغرى بافساد حتى الطيبين أصلا . وأقر الرئيس ما قلته .

وتحدث عن البرلمان الذى يأمل فى خلقه — عن طريق الاختيار الدقيق — فقال وهو يضحك : « سيكون هناك ثلاثمائة رجل مهمتهم ملء الفراغ فى الزعامة ، وهو الفراغ الذى واجهته الثورة بمجرد قيامها ، لقد أحدثنا ثورة — انقلابا — قبل أن تكون لنا حركة ، وحصلنا على السلطة قبل أن نعرف من يقف وراءنا ، وكنت أعتقد أن الأمة بأسرها ستقف وراءنا ، وأنا موقن الآن أن جماهير الشعب معنا . ولكن علينا أن نخلق سياسة جديدة وان كانت الصعوبة تكمن فى ايجاد الزعماء الذين يكرسون أنفسهم لهدفنا ، ففى بلد مثل مصر نجد أن عدد المتعلمين من الرجال صغير، وأن عدد المتعلمين الذين يتمتعون بنقاء الفكر أقل كثيرا والموقف الحالى انتقالى ويجب أن يمثل هؤلاء النواب الثلاثمائة الشعب ، وأعتقد أن مائتين منهم على الأقل سيكونون طيبين » .

لقد سألت نفسى : هل الرجل من النوع الذى يميل الى الانتقام ؟ ولما أبدى بعض النقد حول التاريخ وجهت اليه سؤالا شخصيا هاما : « أية شخصية فى التاريخ استحوذت على اعجابك؟»

وكان رد الفعل المباشر أنه قال ضاحكا — هل تؤمنين فى سير الناس ؟ ان الرجال لا يكررون أنفسهم فى التاريخ .

ثم قال بلهجة حادة : « ان المرء ليجد من خلال حياة العظماء قدوات طيبة للسير بمقتضاها . فأنا رجل مسلم ولقد درست بامعان سيرة الرسول — عليه الصلاة والسلام — لقد كان محمد نبيا وسياسيا ، وهو كرجل سياسى كان هناك أمر واحد يتميز بوضوح فى أقواله وأعماله ، انه لم يكن قاسيا مع أعدائه وكان

كلما انتصر عليهم أطلق سراحهم ، وأنا أكره القسوة والانتقام ، فالانتقام يولد الانتقام وليس له من نهاية .

« ولو كنت قد أتبعت ما أشار على به بعض مستشارى لكنت قد ألقيت بعشرات الآلاف فى السجون . صحيح أننا كنا قد اعتقلنا بعض السياسيين القدامى فى أول الأمر ، ولكننا لم نلبث حتى أطلقنا سراحهم ، وفى خلال الأزمة الأخيرة اعتقلنا آخرين ممن نشك فى عدم اخلاصهم ، ولكن بعد أن تحل هذه الأزمه لا أريد استمرار اعتقالهم لأجل غير مسمى مالم تكن ضدهم قرائن أقوى »

ثم أشرت فى حديثى معه الى كتابه الوحيد الذى نشر فقطب وجهه هنيهة ثم ضحك وهو يقول :

« لقد كتبت منذ ذلك الحين كتابين ، وان كنت لا أظن أننى سأنشر أى واحد منهما . لقد سبب لى هذا الكتاب الكثير من المتاعب أنه مصدر الاتهام الذى يوجه الى بأنى أحاول خلق امبراطورية عربية . لقد كتبت ماكنت أحس به فى ذلك الحين بأن هنالك أمة عربية وأن على مصر أن تساعد فى تدعيم كيان هذه الأمة العربية وهو أمر لم يكن من وحى اختراعى ، ان العرب عبارة عن أفراد وليس لجميع الدول العربية نفس المشاكل ولن تقبل احداها دكتاتورية أخرى .

« ان القومية العربية لا تعنى ولا تعادل ما يطلقون عليه اسم « الامبراطورية العربية » ان الذى أريده ويريده زعماء آخرون

من العرب هو أن يقام نظام أمن جماعى داخل نطاق العالم العربى يتيح لنا بطريقة جماعية أن نحافظ على استقلالنا وأن نقاوم بطريقة جماعية أى عدوان .

« لقد تعرض العالم العربى دواما للاجتياح من جانب جميع الامبراطوريات التى ظهرت فى التاريخ ، ولست فى حاجة لأن أذكر التفاصيل . وكانت آخر عملية غزو هى ماوقع فى أواخر أكتوبر الماضى .

« ان ما أريده هو علاقات متماسكة بين الدول العربية ، وتحسين العلاقات الاقتصادية والدفاع المشترك حتى اذا ما وقع عدوان على أية دولة فيها كان عدوانا موجها للجميع .

« ان مصر لا تستطيع أن تعيش منعزلة وما من دولة عربية تستطيع أن تعيش منعزلة . وأنه من السهل على دولة عظمى أن تعيد احتلال مصر مرة أخرى ، ولكنه من الصعب على أية قوة أن تحتل العالم العربى بأسره .

« لقد نجحت الامبراطوريات الحديثة من حيث أنها كانت توقع شعبا عربيا فى الآخر .

« هذا وفى مصر — أو بالأحرى كان بمصر — كثير من أنصار سياسة العزلة ، وعندما أصررت على ضرورة أن تتضمن المادة الأولى فى الدستور الجديد أن مصر جزء من الأمة العربية كان لهذا النص خصوم كثيرون وأعتقد حاليا أن الهجوم الأخير قد فرق شمل هؤلاء » .

وأبديت ملحوظة للرئيس قلت فيها أن المصريين — باستثناء

الأغنياء — نادرا مايسافرون للخارج وأن قليلين جدا هم الذين هاجروا الى الولايات المتحدة ، ورد سيادته قائلا : « هذا صحيح، فالمصريون — وبلادنا بلاد قروية — لا يرغبون حتى فى مجرد الهجرة من قراهم ومديرياتهم ، أنهم مرتبطون بهذه الأرض ونادرا مايتركونها الى مكان آخر يكتسبون فيه جنسية جديدة — وفى مصر الكثير من الأجانب الذين حصلوا على الجنسية المصرية : يونانيون ، ايطاليون ، يهود وعرب من دول عربية أخرى ، وعدد هؤلاء أكبر من عدد المصريين الذين هاجروا الى بلاد أخرى واستوطنوها » .

واستطرد الرئيس قائلا :

— الا أن هناك تجاوبا واجماعا بين الشعوب العربية ضد أى نوع من أنواع الحكم الأجنبى وكذا ضد أى تدخل فى شئون المنطقة العربية .

« ان شعوب الدول العربية ، ومن بينها العراق أظهرواغضبهم بالاجماع ضد هجوم اسرائيل وفرنسا وبريطانيا على مصر .

انىا نريد نظام دفاع مشترك ، ولقد باشروا الضغط علينا لكى نربط دفاعنا بتحالف مع الغرب ، والذين يريدون منا أن نشترك فى كتلة غير عربية لا يفهمون لا التاريخ ولا نفسية شعبنا . لقد ظلت مصر تحت السيطرة البريطانية ٧٥ عاما ، والسيطرة الأجنبية مدعاة للفساد دواما ، وكل ميثاق عقدناه مع بريطانيا كان يؤدى الى السيطرة .

« اننى أحاول خلق الوحدة فى بلادى — وحدة داخلية —

حول هدف مشترك لتقدم البلاد وتحسين أحوال جماهير الشعب والاستقلال القومى ، وانى لأتساءل كيف يمكن لى أن أحقق هذه الأمور لو أريد لى أن انضم الى كتلة خارجية ؟

« لو انضممت الى الروس ـ وهو الأمر الذى لم يقترحوه أبدا ـ لاتهمت لافى الخارج فحسب ، بل وفى بلادى أيضا بأننى شيوعى . ولو أقمت حلفا غربيا لاتهمت بأننى بريطانى .

لقد كانت كل حكومة مصرية قبل الثورة تتهم بأنها عميل لبريطانيا ، وكانت أحزاب المعارضة تهاجمها فى الحكم على أساس أنهم صنائع الانجليز . وعند ما كانت أحزاب المعارضة تصل الى الحكم كان نفس الاتهام يوجه اليها .

« ان الانضمام لأى حلف خارجى انما يقسم الأمة ، ويخلق أزمة ثقة داخلية ، ولست أعرف لماذا لا يتفهمون هذه الحقيقة .

« يضاف الى ذلك أن المواثيق التى تعقدها الدول العظمى لا تتمشى مع الأمم المتحدة ولا الحقائق الحديثة .

« ان الحرب العالمية الثالثة قائمة بالفعل ولكنها ليست حربا ذرية . انها حرب نفسية ، واستطرد سيادته قائلا :

« تستطيع أمريكا أن تصبح زعيمة العالم ولكن ليس عن طريق تأييد الدول الاستعمارية . أنها تستطيع ذلك فقط عندما يعرفها العالم نصيرة للحريات القومية وحقوق الانسان » .

ووجهت لسيادته سؤالا مباشرا :

ـ هل تنوى القضاء على اسرائيل ؟ لقد قيل ذلك هو هدفك .

فرد سيادته قائلا :

ــ أتحدى مسيو موليه أو مستر سلوين لويد أن يستنبطا كلمة واحدة من تصريحاتى يستفاد منها أننى أنوى القضاء على اسرائيل .

وضحك ثم قال :

ــ طبيعى أننى لو كنت أنوى ذلك ماصرحت به ، اذ لوصرحت بذلك لحصل الاسرائيليون فى اليوم التالى على مائة مليون دولار من الولايات المتحدة ، الا أننى لا أعتقد فى الحرب . رغم أننى جندى وقد حصلت مرتين على أرفع الأوسمة المصرية .

« ولماذا لا أؤمن بالحرب ؟ اننى لا أؤمن بها لأن الحرب نادرا بل قد لاتوصل أبدا الى منتصر حقيقى وخاصة فى الأوقات الحاضرة . ان الشروع فى حرب شىء وانهاء هذه الحرب شىء آخر . ولقد قرأت التاريخ من أيام هنيبال حتى الآن وكنت أقوم بتدريس تاريخ الحرب فى الكلية الحربية ، ولقد فهمت أنه مامن مخلوق يستطيع أن يتنبأ بكيفية انتهاء أى حرب .

« ان أول مشاريعنا أن نقيم دعائم هذا البلد ولن تساعد الحرب أبدا على تحقيق هذا الهدف . صحيح أننا لو هوجمنا فسوف نضطر للقتال فكل أمة تفعل ذلك . ولقد قاتلنا من قبل لنمنع انتزاع فلسطين من أيدى العرب ، ولكننا لو بدأنا حربا الآن فان الرأى العام العالمى سيوصمنا بالعدوان . ولقد هاجمتنا اسرائيل ، أنها فعلت بالضبط ما قدرنا أنها ستفعله ان آجلا أو عاجلا ، يريد بن جوريون أن يقر السلام بالقوة وعندئذ يقول

أنه حارب من أجل السلام . ولكن الشىء الوحيد الذى لايمكن فرضه هو السلام .

« انك تستطيعين فرض العبودية . ولكن لن تستطيعى أبدا فرض السلام ، ان السلام صداقة ، والصداقة لا يمكن كسبها أو اقرارها بالقوة » .

وقلت للرئيس أن المراسلين الذين عادوا من سيناء مؤخرا يذكرون أن الطرق والسكك الحديدية والقرى وآبار المياه قد دمرت ، فقال سيادته : انهم عند ماعلموا أنه يتعين عليهم الانسحاب تركوا سيناء بقاع قفراء .. وهذا أمر لا يخدم السلام

وسألت : ألا ترى فى الأفق تسوية مع اسرائيل ؟

فرد سيادته : ان الأمر لن يتوقف على وحدى ، وعموما فيجب ألا تحصل اسرائيل على شبر واحد من الأرض نتيجة لهذا العدوان ويجب أيضا تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين فان لهم الحقوق التى أقرتها لهم الأمة المتحدة » .

هذا هو حديث الرئيس مع دورثى طومسون . . وكما قلت فى أول الكلام ان الدعايات المغرضة تتناثر كثيرا ولكن صوت الحق لا يلبث أن يرتفع فيقضى على الأباطيل . .

**« تم الكتاب »**

# فهرست

صفحة

الفصل التاسع



الفصل العاشر



الفصل الحادى عشر



الفصل الثانى عشر



الفصل الثالث عشر



الفصل الرابع عشر



الفصل الخامس عشر



الفصل السادس عشر

## المؤلف

- قدم صلاح دسوقى كتابه الأول (امبراطورية اسرائيل)
- كشف فى الكتاب عن أطماع الصهيونية وأحلام ساستها. فى أكتوبر عام ١٩٥٦ .
- أثبتت الحوادث أن ماذهب اليه المؤلف من نية اسرائيل العدوانية حقيقة لا مجرد استنتاج .
- أثنى النقاد والكتاب على جهد المؤلف فى عمق دراسته وسهولة لغته ونقاء استنتاجاته .
- هذا الكتاب الجديد ( الاستعمار المشترك ) هو الكتاب الثانى للمؤلف .
- كتب الجزء الأول منه قبل العدوان وفيه يؤكد المؤلف أن دول الاستعمار ستقوم بعمل عسكرى مشترك ضد مصر وفى الجزء الثانى يبسط ملامح الاحداث الحالية والمستقبلة .
- نرجو أن يجد الشباب العربى فى الكتاب ما يعينه على فهم الاحداث الجارية والاتجاهات السياسية فى العالم ومؤامرات الاستعمار المتلاحقة للقضاء على القومية العربية ...

( مجلة البوليس )

١٠ ق

مطابع دار الكتاب العربى بمصر
محمد حلمى المنياوى